الفصل السادس عشر

رئيسًا للإذاعة ..

وقفت العناية الإلهية إلى جانبى فى أمر تعيينى رئيساً للإذاعة وأنا أحمد المولى عز وجل على كرمه وعطائه وإرهاصات تعيينى رئيسا للإذاعة بدأت منذ يوليو سنة ١٩٨٢ عندما عدت من مهمة قمت بها إلى لندن وباريس بشأن الإذاعات الإقليمية فوجدت إشاعة تملأ جنبات مبنى ماسبيرو بأننى مرشح لأتولى منصب أمين عام اتحاد الإذاعة والتليفزيون، كانت السيدة صفية المهندس رئيس الإذاعة على وشك أن تخرج إلى المعاش بعد شهور قليلة وكانت الراحلة همت مصطفى رئيس التليفزيون على وشك أن ترتحل إلى لندن لتعمل مستشاراً إعلاميا فى سفارتنا فى لندن، ولا بأس من الحديث بعض الشىء عن الراحلة العزيزة همت مصطفى لنعود بعد ذلك إلى حكاية تعيينى رئيساً للإذاعة فأقول: إن الزميلة همت مصطفى دخلت الإذاعة بعد دفعتنا بأقل من العام فهى من دفعة جلال معوض وسامية صادق وغيرهما من الزملاء والتحقت بقسم المذيعين قارئة نشرة ومقدمة برامج، ومنذ دخولها مبنى الشريفين وهى على ما هى عليه طوال عمرها خلقاً وأدباً والتزاما وتفانيا فى العمل وكان ذلك مصحوبا بخفة ظل وبسمة دائمة على الوجه وظلت همت زميلة عزيزة إلى أن جاء التليفزيون سنة ١٩٦٠ فإذا بها واحدة ممن التحقن بالجهاز الجديد وأثبتت فيه قدرتها على العطاء فكانت قارئة نشرة إخبارية على مستوى متميز وعلى مدى سنوات عملها من ١٩٦٠ وحتى تعيينها مستشارا إعلاميا فى لندن سنة ١٩٨٢ كانت همت نعم الأخت الفاضلة والصديقة العزيزة وأصبحت همت بعد ذلك ضمن طاقم العاملين بمكتب السيد رئيس الجمهورية كسكرتيرة إعلامية ولعلنا نذكر تلك الأحاديث الطويلة والعديدة التى حاورت فيها همت الرئيس السادات الذى حكى عن تاريخه وكان دائما ما يقول لها يا همت يا بنتى، ولن أنسى تلك الليالى التى كنا نسمر فيها أسرياً فى منزل اللواء حسين العشرى زوج الزميلة الفاضلة وكانت همت لا تنفك هى وزوجها يضحكان من الإشاعات التى انتشرت والتى تقول إن السادات تزوج همت المهم أن همت ظلت فى عملها فى مكتب الرئيس وإن كانت تزاول نشاطها التليفزيونى فى قراءة نشرات الأخبار وإجراء حوارات مع الرئيس إلى أن صدر القرار بتعيينها رئيساً للتليفزيون فى سنة ١٩٧٩ عقب نقل الراحلة تماضر توفيق للعمل كمستشارة وتفرغت همت لعملها وأبلت فيه أحسن البلاء، وعقب وفاة السادات وجدت همت مصطفى نفسها أنه من الأفضل لها أن تترك المبنى نهائيا خاصة وأن الأقلام التى ما كانت تجرؤ أن توجه لها نقداً قاسياً أو نقداً غير موضوعى بدأت تقول سطراً هنا وسطراً هناك

وكلمات هنا وأخرى هناك ثم إن المسئولين عن الإعلام – على ما أعتقد وجدوها فرصة لكى تبتعد همت عن المبنى لأنها ما فتئت تنادى هؤلاء المسئولين بأسمائهم مجردة من مناصبهم مثلما كانت تفعل فى الأيام الخوالى يوم أن كان هؤلاء المسئولون يتمنون رضاها، وسافرت همت إلى لندن وظلت هناك حتى خروجها على المعاش سنة ١٩٨٦ وكانت تعتقد أنه بمجرد عودتها ستعين «مثلا» عضواً لمجلس الأمناء ولكن ذلك لم يحدث فعملت لعدة سنوات مسئولا ومستشارا لإحدى القنوات الفضائية وكان مقرها روما وعاشت هناك سنوات عدة حتى عادت سنة ١٩٩٤ ووجد المسئولون أنه من عدم اللياقة ألا تعين همت عضوا بمجلس أمناء الإذاعة والتليفزيون فصدر المجلس الجديد متضمناً اسمها كعضو فيه ولكن المرض اللعين كان لها بالمرصاد فلم يمهلها وفاضت روحها الطاهرة أيام محنتى التى أصبت بها عندما فقدت ابنى غدراً فى المعركة الانتخابية وتوقعت أن تحضر همت لمواساتى ولكن دون جدوى وبعد أيام قليلة من مصابى جاءنى من ينعى إلى همت مصطفى وبالتالى تبين لى أنها كانت تجود بأنفاسها إبان ما حدث لى وبالطبع لم يكن فى استطاعتها أن تحضر لتعزيتى ومواساتى – رحم الله همت مصطفى وأجزل لها المثوبة بقدر عطائها وبقدر ما كانت تتحلى به من أخلاق كريمة.

وأعود إلى إرهاصات تعيينى رئيساً للإذاعة فأقول: إن منصبى رئيس الإذاعة ورئيس التليفزيون كان على وشك أن يشغر كل منهما «همت» بالتعيين فى منصب المستشار الإعلامى بلندن وصفية المهندس بالخروج إلى المعاش، وعندما عدت بعد رحلتى من الخارج كانت إشاعة تعيينى أميناً عاماً لاتحاد الإذاعة والتليفزيون قد ملأت المبنى وكان من عادة المسئولين عندما يريدون معرفة رد الفعل لعمل معين يودون إقراره ومن قبيل جس النبض كانوا يرمون الإشاعة بأن هناك قراراً معيناً سيتخذ حيال شخص معين وبالتالى يتعرفون إلى تفاعل هذا الشخص مع القرار محل الإشاعة سلبا أو إيجابا أكثر من ذلك أن هناك من قال لى إن قرار تعيينى أمينا لاتحاد الإذاعة والتليفزيون قد أرسل بالفعل إلى رئاسة الوزراء لتوقيعه ولما كنت على علاقة طيبة مع السيد عادل عبدالباقى وزير شئون رياسة مجلس الوزراء فقد ذهبت لملاقاته حيث أكد لى سيادته أن قراراً بهذا الشأن لم يرد إلى مكتبه وهنا تأكدت تماماً أن الإشاعة ألقيت فى جنبات المبنى لمعرفة رد فعلى منها خاصة وأن هناك إشاعة أخرى ألقيت بأن زميلا من زملائى سيعين رئيساً للإذاعة وأنا أقدم منه فى الالتحاق بالإذاعة بالإضافة إلى أن تاريخى الوظيفى يقول بأن جهدى أمام الميكروفون لا يقل عن جهد هذا الزميل إن لم يتفوق عليه، ولم أتوانَ فى أن ألتقى بوزير الإعلام وقلت له: إن هناك إشاعة تقول كذا وكذا فقال «طيب وماله» ما هو وظيفة أمين اتحاد الإذاعة والتليفزيون يمكن أن تؤدى بمن يشغلها إلى رياسة الاتحاد نفسه إذن فالأمر فيه شك والإشاعة ملقاة من الدور التاسع لإفساح المجال أمام الزميل لرئاسة الإذاعة، وهنا انبريت قائلاً إنى على مدى أكثر من ثلاثين عاماً تعاملت فيها مع الميكروفون والبرامج الإذاعية فإننى لا أود لنفسى أن أختم حياتى الإذاعية بأن أعمل «باشكاتب الاتحاد»، واستطردت أقول: إن عمل أمين الاتحاد هو توصيل هذه الأوراق من

قطـاع إلى قطاع وإرسـال خطابات إلى أعضاء مجلس الأمناء لحضور الاجتماعـات المهم أن أعماله كلها مكتبية وإدارية وليس له صلة بالبرامج والميكروفون وأنا رجل عشت فى الاستوديوهات وبالتالى لا أوافق أن أكون فى وظيفة مكتبية فى أخريات أيامى، وبعد ذلك أنهيت الموقف قائلاً إن الوزير صاحب القرار ولكننى أنا صاحب القرار الأخير فنظر إلى الوزير مستفسراً عن معنى أن القرار الأخير أنا صاحبه فقلت إنى أملك أن أستقيل من العمل فأبدى الرجل دهشته من أن أقول مثل ذلك القول ولكنى استأذنته وخرجت من مكتبه لا ألوى على شىء، وعلى أية حال فإننى فى هذا المجال أقول إننى لا أنسى فضل صاحب الفضل ومهما كانت الأمور ومهما كانت الإشاعات فإن الأمر حسم بتعيينى رئيساً للإذاعة، وفى هذا المجال أقول أيضا والله على ذلك شهيد: إن الراحلة همت مصطفى قالت لى: إنها عندما سؤلت عن رأيها فيمن يكون رئيساً للتليفزيون اقترحت اسمى وقالت كلاما كثيراً فى حقى ولكن قدر الله وما شاء فعل ولعله من حسن حظى أن بقيت فى الإذاعة وعينت رئيساً لها فأنا أزعم أننى يمكن أن أؤدى أداءً إيجابياً أمام الميكروفون بحكم صلتى به على مدى عمرى الإذاعى وبالتالى أعتقد أننى كنت سأصادف معاناة كبيرة وشدة مريرة إذا ما عينت رئيساً للتليفزيون وأقول: إننى لا يمكن أن أنسى يدا امتدت إلى بالخير ومهما حدث أقول: إننى احفظ الجميل لليد التى وقعت خطاب تعيينى رئيساً للإذاعة وأرسلته إلى رياسة مجلس الوزراء لصدور قرار رئيس الوزراء بالتعيين وفى هذا المجال أقول: إن قرار تعيينى رئيساً للإذاعة صدر قبل شهر من خروج السيدة صفية المهندس إلى المعاش ففى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٨٢ وقع السيد الدكتور فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء قرار التعيين واحتوى القرار على مادة فيه تقول يسرى تعيين فلان رئيساً للإذاعة عقب خروج رئيسة الإذاعة إلى المعاش فى ١٢ – ١٢ – ١٩٨٢ ولا أدرى هل هذا القرار أو هذه المادة كانت خاصة بى حتى يقطع رئيس الوزراء دابر كل الإشاعات التى كانت تقول بالتجديد لمدة عام للسيدة صفية المهندس أو أن هناك قرارات مماثلة تضاف فيها مثل هذه المادة عندما يراد تثبيت الأمر وتوثيق الوظيفة للشخص المختار لها على أية حال فإن الفاضلة صفية المهندس أخلت مكانها منذ أوائل نوفمبر من ذاك العام وبدأت أزاول عملى ندبا لمدة شهر حتى حل الموعد الرسمى لإنهاء خدماتها فتسلمت العمل بصفة رسمية رئيساً للإذاعة ومن اليوم الأول لتسلمى العمل رئيساً للإذاعة بدأت أخطط للدورة البرامجية الجديدة التى تبدأ مع مطلع عام سنة ١٩٨٣ وظللت طوال شهرى نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٨٢ وأنا فى اجتماعات مستمرة ولقاءات متعددة مع الزملاء من الشبكات الإذاعية المختلفة وطلبت من كل رئيس شبكة أن يفكر معى فى خريطة برامج تتسم بالجدة وعدم النمطية بل إننى رحبت فى منشور وزعته على كل الإذاعيين بأن من يتقدم لرئيسه بفكرة برنامج إذاعى شائق سيكون محل التقدير الأدبى والمادى وسريعاً ما تجاوب الأبناء والبنات خاصة وأن باب مكتبى كان مفتوحا للجميع دون تحديد مواعيد ثابتة، بل إننى كنت أترك مكتبى لأتوجه إلى الأبناء والبنات فى مكاتبهم أحييهم وأشرب معهم كوباً من الشاى وأناقشهم فى برامجهم الحالية وما أرجوه من تجديد

وتطوير وظللت فى أغلب ساعات اليوم أتابع أداء المذيعين ومقدمى البرامج، وعندما كنت استشعر هفوة من أحد المذيعين كنت اتصل به على الفور تليفونيا وأقول له إننى واخد على خاطرى بسبب تلك الهفوة التى أرجو ألا يعود إليها وفى نفس الوقت كنت اتصل بمن يجيد فى الأداء لأقول له كلمات تشجيع، واتخذت من بعض الأصدقاء متابعين للبرامج من الساعة كذا إلى الساعة كذا فى الشبكة الفلانية ويقول لى الصديق المتابع رأيه فى أداء المذيعين ورأيه فى المادة المذاعة وأزعم أن العديد من أصدقائى لا فى القاهرة فحسب ولكن فى مناح أخرى كانوا خير عون لى فى هذا الأمر والمتابعة، كذلك كانت ترد لى خطابات من السامعين فيها بعض النقد للإذاعة فكنت أرد عليهم منوها بأننا سنتلافى عوامل النقد وفى نفس الوقت استحثهم على مزيد من المتابعة وإرسال ما يجد لهم من أفكار أو ما يجدونه من سلبيات فى الأداء والبرامج، وكنت أرسل بأوجه النقد إلى المذيع أو إلى صاحب البرنامج وأطلب منه الرد ثم أناقش كل ذلك فى اجتماع لجنة البرامج مع رؤساء الشبكات واتخذت سياسة العقاب والثواب بكل ما يمليه علىّ الضمير فإذا كان الجرم كبيراً اتخذت قرار الحرمان من الحوافز وإذا كان العمل جيداً كنت أرسل خطابا أزرق اللون إلى صاحب العمل أشكره فيه على جهده والحق بالشكر قرارا بصرف مكافأة مادية مقدارها ربع شهر أو نصف شهر حسب قيمة الجهد الإيجابى المبذول، وكم كان لكل ذلك أثره فى نفوس العاملين وكان المذيع منهم أو مقدم البرامج يتباهى بوصول الخطاب الأزرق إليه وهذا ما كان يثير التنافس وحب التفوق لدى الجميع وكثيرا ما كنت اقترح ضيوفاً يستضيفهم أصحاب البرامج الحوارية، وكان هؤلاء الضيوف من نماذج متعددة من نجوم المجتمع فى مختلف الحقول، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وأدبية وفنية، وكان هؤلاء الضيوف يرحبون باستضافتهم إذ لم يستضفهم الميكروفون من قبل وكانوا يسعدون سعادة كبيرة بالتحدث أمام الميكروفون وذهبنا إلى هؤلاء فى أماكنهم فى أنحاء مصر شمالاً وجنوباً، واستعاد الميكروفون بريقه من خلال استعادة أغنيات أم كلثوم فى الخميس الأول من كل شهر وجئنا بالناقد الفنى المرحوم محمود كامل ليكتب سيناريو السهرة بحيث يقدم المذيع الأغنية متحدثا عن تاريخ إذاعتها أول مرة وكم مرة غنتها أم كلثوم خلال حياتها وفى حفلاتها الغنائية وأين قدمت أم كلثوم هذه الأغنية مع تعريف لصاحب الكلمات واللحن ثم تذاع الأغنية بعد ذلك وفى مقدمتها صوت المذيع الذى قدمها وكلامه الذى قاله وصفاً لأم كلثوم وفنانها ومنديلها وكذلك الجمهور الحاضر فى الحفل واستعاد الميكروفون بريقه أيضاً من خلال إقامة الحفلات الغنائية على غرار أضواء المدينة وكانت الإذاعة قد توقفت عن هذه الحفلات واتفقت مع مسرح الجمهورية بشارع الجمهورية بأن يخصص لنا يوم الخميس الثانى من كل شهر لإقامة الحفل الغنائى الذى كان يؤديه عمالقة الغناء الذين عادوا إلى الساحة مع عودة السهرات الإذاعية الغنائية، وأعدت للميكروفون أحاديث الشهر ومدة كل حديث عشر دقائق وجئنا بأساتذة الأدب والعلوم والفنون ليقدموا أحاديثهم وتجاربهم ولا أريد أن أزكى نفسى فالجهد كان جهد المجموعة والأفكار كانت من أذهان الزملاء كل ما فى الأمر أننى بعثت فيهم روح العطاء والتنافس وتعاملت معهم بروح الأبوة والود والزمالة والباب المفتوح.

وبعد انطلاق دورة البرامج الجديدة فى يناير عام ١٩٨٣ بدأنا نجنى ثمار جهدنا فقد أشاد نقاد الإذاعة وكتاب الأعمدة الفنية بالميكروفون وما يقدمه من برامج خاصة وأن شهر رمضان كان على الأبواب فأردنا أن يكون الشهر حديث المتلقين والسادة النقاد، ورأينا أن تكون سيدة الشاشة الفنانة فاتن حمامة هى نجمة المسلسل الإذاعى الرمضانى فى البرنامج العام وتلقيت منها ترحيبا عندما هاتفتها لأعرض عليها قيامها ببطولة المسلسل فى شهر رمضان ودعتنى إلى كوب شاى فى منزلها المطل على النيل بالزمالك واستقبلنى الصديق العزيز والإنسان الدكتور محمد عبد الوهاب زوج الفنانة الكبيرة بالأحضان ذلك أننى كنت أعرف الدكتور عبد الوهاب منذ سنوات عديدة عندما كنا نسهر فى حديقة النادى الأهلى أيام الزمن الكروى الجميل وكان معى فى هذه الزيارة الزميل على عيسى – يرحمه الله – الذى سيقوم بإخراج المسلسل وكان معنا أيضا ملخص لنص من النصوص، وقالت لى: إنها ترحب بأن تكون ضيفة على المستمعين فى مسلسل شهر رمضان وأنها ستعطينى جوابها بعد أن تقرأ النص وهنا سألتها عما إذا كان فى ذهنها نص أو قصة ترى أنها تريد أن تقدمها كمسلسل فى رمضان فأجابت بالإيجاب وهنا طويت ملخص النص الذى فى يدى وقلت لها «ما كان من الأول» وأهلا بالقصة أو السيناريو الذى تريدين تقديمه وهنا ألمحت إلى قصة كتبتها الأديبة سكينة فؤاد وكانت فى تلك الأيام تعمل محررة بمجلة الإذاعة والتليفزيون وأن عنوانها هو «ليلة القبض على فاطمة» وأنها – أى الفنانة فاتن – معجبة بالقصة ولا مانع لديها من أن تلعب بطولتها ولكن علينا أن نبحث عن كاتب سيناريو يكتبها كمسلسل إذاعى وعلى الفور اقترح الراحل على عيسى اسم الأستاذ عبد الرحمن فهمى القصاص والأديب وصاحب العديد من البرامج والدراما الإذاعية وأبدت الفنانة موافقتها وناقشتها فيمن يقف أمامها كبطل للمسلسل فاقترحت الفنان شكرى سرحان – يرحمه الله – ودار دولاب العمل بهمة ونشاط ومع أول يوم فى رمضان أذيعت أولى الحلقات ولكن فى اليوم التالى مباشرة اتصل بى السيد وزير الإعلام وقال لى: إن هناك احتجاجات كثيرة من السادة نواب بورسعيد على المسلسل لأن الممثلين يتحدثون بلهجة بورسعيدية وأن السادة النواب غير راضين عنها وعن أداء أبطال المسلسل وقال أيضا: إنهم سيتقدمون بطلبات إحاطة لإيقاف المسلسل فقلت له دعنى أتفاهم معهم وأننى سأتصل بهم وسألتقى بهم ولو اضطررت إلى السفر إلى بورسعيد وفى نفس اليوم تلقيت مكالمة تليفونية من الصديق العزيز السيد سرحان محافظ بورسعيد يرحمه الله وقال لى إن السادة النواب فى مكتبه وإنهم ثائرون جدا وأعطى سماعة التليفون لواحد منهم لكى يتحدث معى فإذا به يقول لى بلهجة بورسعيدية "بأه كده يا سى فهمى وإحنا اللى بنحبك وبنقدرك لما كنت تتكلم علينا كلام حلو فى التعليق بتاعك بتاع الكورة وكنت بتقول شعر فى النادى المصرى وجماهير بورسعيد كده برضه تعمل مسلسل بيتريق علينا ويهزأنا فرددت عليه قائلا «حشا لله» والمسلسل كله كلام حلو عن بورسعيد وأمجادها وأبطالها «دا أنتم لما تسمعوا الحلقات الجاية «حتتبسطوا كتير» ولكنه قال أحسن يا عم فهمى إنك «تكنسل» المسلسل فقلت له طيب بعد يومين

أو ثلاثة وإن مكانش المسلسل هيعجبكم أنا سأقوم بإلغائه وبالطبع أذيع المسلسل ولا أدرى هل رضى أبناء بورسعيد أو أنهم رفضوه ولكنهم لم يستطيعوا فعل شىء لوقف إذاعة المسلسل الذى توالت حلقاته واحدة بعد الأخرى واستقبله المستعمون بكل الشغف والترقب ولنجاح المسلسل قدمته الفنانة فاتن فى فيلم سينمائى، كما أن التليفزيون أنتجه فى حلقات أخرجها محمد فاضل وكانت بطلته فردوس عبد الحميد، وبالمناسبة أقول إننا فى العام التالى فكرنا فى تقديم قصة توفيق الحكيم «رصاصة فى القلب» برؤية إذاعية ومعروف أن القصة قدمتها السينما فى فيلم بنفس العنوان يعتبر من كلاسيكيات السينما المصرية وقام بإنتاجه مؤديا دور البطولة أستاذ أساتذة التلحين والغناء محمد عبدالوهاب وأخرجه محمد كريم كانت الفكرة أيضا للراحل على عيسى الإذاعى القدير الذى جاءنى يوما فى مكتبى ومعه الأديب الصحفى الكبير أحمد بهجت وعرضا الفكرة، وقال الأستاذ أحمد بهجت إنه يمكن أن نتفق مع الأستاذ توفيق الحكيم ونتحاور معه فى الأمر وأنه يستطيع أن يحدد لنا موعدا معه فى مكتبه بالأهرام وبالفعل توجه ثلاثتنا لملاقاة الأديب الكبير الذى رحب بنا وطلب لنا قهوة قائلا: إنه سيدفع ثمنها من جيبه وصاح فى أحمد بهجت قائلا حادفع ثمن القهوة وضحكنا جميعا وتساءل الرجل عما إذا كانت «قباشة» القصة تكفى لإخراجها فى مسلسل مدته حوالى سبع ساعات ونصف الساعة وأضاف قائلاً: إن محمد كريم وجد مشقة عندما أخرجها فى فيلم مدته ساعة وثلاثة أرباع الساعة وقال له أحمد بهجت إنه هو الذى سيكتب الحوار الإذاعى وإنه يستطيع بإذن الله أن يكتب المادة بقدر حلقات المسلسل وهنا قال الحكيم طيب وحتدفعوا كام وقلت له اللى تأمر بيه يا أستاذ فقال أنا لو أمرت مش حتقدروا تنفذوا أوامرى قول أنت يا رئيس الإذاعة حتدفع كام فقلت إنك يا أستاذ تعلم مدى إمكانية الإذاعة المادية وإحنا كده حندى لسيادتك ٥٠٠ جنيه وهنا قال: لا لا حرام عليكم إيه ده بقى دا كلام، المهم أنه بعد فصال استطعنا إقناعه أن يتقاضى مبلغ ٧٥٠ جنيها ووافق الرجل وكان معنا العقد فوقعه ووعده أحمد بهجت بأنه سيحضر له المبلغ فى خلال يومين وبدأ على عيسى يعد فريق العمل ووقع الاختيار على الفنانة نيللى للقيام بدور البطلة والراحل أحمد زكى للقيام بدور البطل واتفقا مع الموجى على أن يلحن عشرة ألحان كتب كلماتها أكثر من مؤلف غنائى واتفق على عيسى على أن يقوم محمد ثروت بغناء أغنيات المسلسل ودار العمل على قدم وساق وكان استوديو التسجيلات يحتشد كل يوم قبل شهر الصوم بالعشرات من الممثلين والموسيقيين، هذا يسجل مسامع المسلسل وذاك يقوم بتسجيل الأغنيات واستطاع أحمد بهجت أن يكتب مسلسلا جميلا ولحن الموجى ألحانا عذبة وأدت نيللى بصوتها كل الدويتات أمام محمد ثروت ولم نجد أى مشقة فى إخراج المسلسل الذى تقبله الصائمون حلقة بعد الأخرى المهم أننى اتصلت بالأستاذ توفيق الحكيم عقب إذاعة عدة حلقات لمعرفة صدى المسلسل لديه فأبدى إعجابا كبيراً وقال إنكم تقدمون عملا جميلا وأن بهجت كتب حوارات بديعة، ولعلى فى هذا المجال انوه بكلمات رقيقة وجهها لى الأصدقاء من رؤساء أبواب الفن والنقد الإذاعى فى الإعلام المقروء وكذلك

الأصدقاء المشرفون على الصفحات الرياضية، ولا أنسى الراحل ثروت أباظة الذى كان أول من نقل لى خبر تعيينى رئيسا للإذاعة فقد دق جرس التليفون فى منزلى وكان الأديب ثروت على الخط وقال لى مبروك رئاسة الإذاعة وبعفوية قلت له من أين لك هذا الخبر فإذا به يرد قائلا، يا صعيدى أنا لا أقول أخبارا ولكنى أقول حقائق وضحكنا معا بعد أن قدمت له الشكر والتحية، وبالمناسبة فإن الصلة بينى وبين ثروت وأسرته كانت ومازالت وثيقة والسبب فى ذلك يعود إلى زوجتينا ذلك أن الفاضلة عفاف أباظة زوجة ثروت كانت زميلة دراسة لزوجتى فى مدرسة أسيوط الثانوية للبنات، كان والدها الشاعر الكبير عزيز باشا أباظة هو الباشا المدير لمديرية أسيوط يوم أن كانت الأقاليم مقسمة إلى مديريات وكان المدير هو الكل فى الكل مثل منصب المحافظ حاليا بل وكانت له اختصاصات أكبر من المحافظ حاليا وكان عمى والد زوجتى يعمل وكيلا للمديرية ومن هنا كان التآلف الأسرى بين المدير والوكيل وزاد هذا التآلف توثقا بحكم صداقة الطالبتين معا فى أسيوط الثانوية للبنات وتمر الأيام وتلتقى السيدتان فى مناسبات عديدة وتعود الصداقة أكثر مما كانت عليه وحتى الآن مازالت الزيارات متبادلة بينهما وكانت كذلك فى حياة ثروت حيث كنا نقوم بزيارة ثروت وزوجته ويقومان هما بزياراتنا، ومن الأصدقاء الذين كتبوا يهنئوننى الصديق عصام بصيلة فى الأخبار ونجيب المستكاوى فى الأهرام وناصف سليم وعبدالرحمن فهمى فى الجمهورية ومحيى فكرى فى الكواكب والمصور والصديق العزيز رؤوف توفيق فى صباح الخير والأديب الكبير أحمد بهاء الدين فى الأهرام أما كتابات موسى صبرى فكانت تملأ صفحة فى آخر ساعة وكتب أيضاً الكاتب الكبير الراحل عبدالرحمن الشرقاوى ولا أنسى للشرقاوى أنه أبلغنى ذات يوم أننى مرشح للتعيين فى مجلس الشورى أسوة بما اتبع قبل ذلك من تعيين لرئيسة الإذاعة صفية المهندس وهمت مصطفى رئيسة التليفزيون وقال لى الرجل – والله على ما أقول شهيد – إن اسمى طرح أمام المسئولين وإن القرار على وشك الصدور وكان ذلك سنة ١٩٨٦. قيل بغير ذلك بحجة أن تعيينى عضوا بمجلس الشورى يستتبع تعيين رئيس التليفزيون أيضاً وفى ذلك تشتيت لذهن كل منهما فهما مطالبان بالسهر والاهتمام الشديد بالجهازين، وإذا كان تعيينى فى مجلس الشورى لم يتم بفعل فاعل فإن القدر كان يخبىء لى أن أكون عضواً بمجلس الشعب وكان ذلك فى مجلس القوائم سنة ١٩٨٧ عندما أرسلت عائلتى مئات البرقيات إلى الحزب الوطنى وإلى محافظ قنا تصر على تزكيتى لأكون من بين أعضاء قائمة دائرة نجع حمادى، وعلى أية حال فهذه حكاية أخرى سيأتى سردها فى موضعها.

عيد الإذاعة ..

وقرب موعد الاحتفال بعيد الإذاعة فى ٣١ مايو سنة ١٩٨٣ وأردت أن يكون الاحتفال غير نمطى ولا يقتصر على مجرد الحديث عن الذكريات الإذاعية مع رواد العمل الإذاعى بل يكون فى صورة تقديم حفل غنائى كبير وكذلك الاحتفاء برؤساء الإذاعة السابقين ودعوة الأحياء منهم ودعوة أبناء من رحلوا إلى حفل فى الدور السادس والعشرين فى مبنى ماسبيرو وتقديم درع الإذاعة إلى كل منهم وصممنا

درعـا وصنعنا مـن التصميم عددا من الـدروع وجاء إلى الحفل محمد أمين حماد وجـاءت الزميلة هالة الحديدى ابنة الراحل عبد الحميدالحديدى وجاء النجم السـينمائى جميل راتب باعتباره أقرب أقرباء حسـنى نجيب رئيس الإذاعة قبل الثورة وجاءت ابنة محمد بك قاسـم الرئيس الذى وقع قرار تعيينى مذيعاً سـنة ١٩٥٠، كذلك جاءت ابنة محمد كامل الرحمانى رئيس الإذاعة عقب الثورة ووسـط جمهرة مـن الإذاعيين وفرحة غامرة منهم وزغاريد تطلقها المذيعات ومقدمات البرامج جاء وزير الإعلام ليسـلم الدروع إلى المحتفى بهم، وكانت الإذاعة ورئيسـها فى هذا الحفل هى صاحبة الفرح وهى التى عليها «الفوكس» والتى تسـلطت عليها الأضواء خاصة وقد تألق العيد إعلاميا فتحدثت عنه الصحافة بتوسـع ولعل ذلك كله هو الذى جعل المسئولين يفكرون فى أن يختفى عيد الإذاعة ليحل محله عيد الإعلاميين فكيف «تتصيت» الإذاعة بمفردها وكيف لا يكون فى الصورة إلا الإذاعة ورئيسها الذى يرسل الدعوات باسمه لحضور الحفل الغنائى والذى يتصرف من تلقاء نفسـه ويدعو رؤسـاء الإذاعة السـابقين إلى حفل يكرمهـم فيه فـكان التخطيط لما سمى بعيد الإعلام بحيث تنصهر فيه كل القطاعات ولا يكون فارسـه إلا المسـئول الأول عـن الإعلام والباقى كومبارس. كان التليفزيـون يقيم عيدا له فى يوليو كل عام ولكن الصخـب والضجيج كان لعيد الإذاعة وهى الوسـيلة التى برزت إلى سـطح الإعلام المصرى بكيان كبير ورواد لهـم أسماؤهم التى كانت لاتزال محفورة فى ذاكـرة المتلقين، وبدأ الإعداد فى مطالع عام ١٩٨٤ لأول عيد للإعلام، وفى الحادى والثلاثين من مايو سـنة ١٩٨٤ وكأن القدر كان يقول إن مجىء السـيد رئيس الجمهورية إلى مبنى الإذاعة للاحتفال بالعيد ومشاركة أبناء الجهازين المسموع والمرأى فى عيدهم إنما مجيؤه رتب له القدر أن يكون احتفاء بالإذاعة ممثلة فى شـخص رئيسـها فالذى حدث أن السادة المسئولين كانوا فى مكتبهم بالدور التاسع فى المبنى الكبير على اعتقاد أن الرئيس لن يصل موكبه إلا فى الحادية عشـرة صباحا، بينما كنا نحن رؤسـاء القطاعات واقفين فى انتظار السـيد الرئيس قبل الموعد بثلث ساعة وكان المسئولون فى رئاسة الجمهورية قد رتبوا عملية الاستقبال وأشرفوا على تنظيم الواقفين فى الصف وحدثت المفاجأة فبدلا من أن يحضر السـيد الرئيس فى الحادية عشـرة حضر فى السـاعة العاشـرة وخمسـين دقيقة أى قبل الموعد المحدد بعشر دقائق وحدث هرج ومرج فالوزير ورئيس الاتحاد فى أعلى المبنى وهنا تقدم منى كبير الأمناء رؤوف أسعد – يرحمه الله – وطلب منى أن أتقدم إلى خارج المبنى لأرحب بالرئيس وكانت كلماته حازمة حيث قال هل تريدون أن ينزل الرئيس من سيارته فلا يجد أحدا يسـتقبله وتقدمت بالطبع وصافحت السـيد الرئيس فور نزوله من السيارة مرددا كلمات الترحيب بحضوره وبالطبع انطلقت كاميرات التليفزيون تصور الموقف على الهواء مباشـرة ومشـيت مع السـيد الرئيس إلى داخل المبنى حتى البهو الكبير وهنا كان السـيد الوزير والسيد رئيس الاتحاد قد وصلا وهما يخرجان من المصعد مهرولين ليصافحا الرئيس ويتسـلمان زمام الموقف، أحكى هذا الذى أحكيه لأقول إن نشـرات الأخبار فى التليفزيون خلت من أية لقطة للرئيس وهو ينزل من السـيارة أو وهو يصافحنى

أو وهو يبادلنى الحديث طوال مسافة لا تقل عن أربعين مترا ما بين باب المبنى والبهو الكبير والوقت الذى استغرقه سيادته فى مصافحة الزملاء ورؤساء القطاعات الذين قمت بعملية تقديم أشخاصهم اللهم إلا الزميلة سامية صادق التى سلم عليها السيد الرئيس باسمها وظل هذا التعتيم على ما حدث مثار أحاديث الزملاء من أبناء الإذاعة وإن كنا قد اعتبرناه انتصارا للإذاعة التى سلبوا عيدها ليجعلوا منه عيدا للإعلام حتى لا «تتصيت» الإذاعة بمفردها، إضافة إلى ذلك فإن الأثير حمل كلمات مذيع الإذاعة الذى نقل على الهواء مباشرة لحظة استقبالى للسيد الرئيس وكيف أننى الذى تقدمت للترحيب به وهو يأتى ليشاركنا الاحتفال الذى يوافق مرور خمسين عاماً على إنشاء الإذاعة المصرية والآن أين هو عيد الإعلام فعلى مدى أكثر من أربعة أعوام منذ سنة ٢٠٠٤ وحتى الآن مرت أربع مناسبات لعيد الإعلام ولا حس ولا خبر إنما هى الإذاعة التى تحتفل بعيدها ويحتشد للاحتفال معها كل عشاقها من الأدباء والفنانين ورجال القلم والصحافة وهكذا لا يصح إلا الصحيح.

وفى سياق الحديث عن الإذاعة أو عيد الإعلاميين أقول: إن القدر رسم لى أن أكون رئيس الإذاعة الذى يتم فى عهد رئاسته للإذاعة الاحتفال بالعيد الذهبى للإذاعة ومرور خمسين عاما على إنشائها، وعلى رغم أن الأجواء كلها كانت مخصصة أو كانت تموج بالاحتفال بعيد الإعلام الأول إلا إننى أردت أن يتضاعف لدى الناس الإحساس بأن العيد هو عيد الإذاعة أولا وقبل كل شىء، ولذلك جاء إحتفال الإذاعة بالعيد احتفالا غير مسبوق وتكتلت جهود الزملاء والزميلات لإخراج العيد إخراجا بديعا يصعب على الوصف وأذكر فى هذه المناسبة أن الزميلة مديحة نجيب وكانت تحتل منصب رئيس الإذاعة قالت لى وكانت مسئولة عن تقديم جانب عن الاحتفال إنها ستفاجئنى باحتفال غير مسبوق ليلة الحادى والثلاثين من مايو سنة ١٩٨٤ ولم أشأ أن أسألها عن مفردات هذه المفاجأة حتى لا «أحرق» ما أرادت أن تفاجئنى به، فقد تفتق ذهن الزميلة مديحه عن مهرجان كبير يقام فى الشوارع المحيطة بمسرح البالون ابتداء من منطقة ميت عقبة عند نادى الزمالك مرورا بشارع جامعة الدول العربية والشوارع المحيطة به وانتهاء بمسرح البالون الذى كانت ستقام فيه الحفلة الغنائية والتى كانت جزءا ثانيا من الاحتفال عهدت به إلى الزميل على عيسى، المهرجان الكبير قام بتنفيذه إلى جوار الزميلة مديحه الإذاعى اللامع وجدى الحكيم الذى جاء بموسيقات الشرطة وسرية من الخيالة وسرية من راكبى الجمال وحملة الأعلام وحملة اليافطات الكبيرة المصنوعة من القماش وعلى كل يافطة اسم من أسماء إذاعات القاهرة، فهذه يافطة صوت العرب وتلك يافطة الشرق الأوسط، وهكذا وفى المقدمة يافطة كبيرة تنوه عن العيد الذهبى للإذاعة وسار الموكب لمدة أكثر من ساعة فى الشوارع والناس على الجانبين تصفق وتحيى الإذاعة، كل ذلك وميكروفون الإذاعة ينقل للمتلقين جوانب المهرجان حيث أقمنا عدة نقاط إذاعية خارجية وقام المذيعون بوصف الموكب كما قاموا بالالتقاء بالمواطنين الذين قدموا التهنئة للإذاعة بعيدها الخمسين مبينين كيف أن الإذاعة مازالت تؤثر فى الوجدان وكيف أنها بنت

العقول وحفرت فى الأذهان القيم الجميلة وأرست فى النفوس قواعد الكلام الطيب والمعانى الجميلة وهدهدت القلوب بالنغم الحلو والصوت العذب.

وعندما انتهى المهرجان فى حوالى الساعة العاشرة بدأت مراسم الفقرة الثابتة من الاحتفال والتى تمثلت فى حفل فى مسرح البالون حضره أكثر من ألف متفرج وعلى رأسهم السيد حسن عنان رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون وحتى الآن لا أدرى لماذا لم يحضر وزير الإعلام الحفل، والحفل أحيته الفنانة وردة وغنت عدة أغنيات كان أبرزها أغنية جديدة خاصة بالإذاعة لحنها الراحل سيد مكاوى وتقول «الإذاعة الليلة عروسة» إلى آخر كلمات الأغنية وأذكر أننى عهدت إلى المذيعتين سناء منصور وإيناس جوهر لكى تقدما فقرات الحفل الذى أخرجه على عيسى وكانت كل من سناء وإيناس فى ذلك الوقت مذيعتين ومقدمتى برامج متميزتين وصاحبتى صوت وأداء رائعين وفى الحفل استعرضنا جانبا من برامج الإذاعة وجاء فؤاد المهندس وعبد المنعم مدبولى ليقدما هذا الاستعراض فى ثوب جميل وأسلوب فكاهى وغنى العزبى ومحمد قنديل وكانت سهرة رائعة اختتمها سيد مكاوى الذى غنى ما حلا له أن يغنى حتى ما بعد منتصف الليل كما غنى الأغنية التى أنتجت خصيصا للمناسبة وهى أغنية"نورته مدورة وشمعة منور:"

أما جانب الاحتفال الثالث فقد تمثل فى كتاب يؤرخ للإذاعة منذ نشأتها كيف نشأت وما تم بين حكومة مصر وشركة ماركونى الإنجليزية التى وضعت قواعد الإذاعة المصرية سنة ١٩٣٤، والكتاب وضعه وكتبه الرائد الإذاعى محمد فتحى ومن مثل محمد فتحى يستطيع أن يكتب عن الإذاعة ونشأتها الأولى وسنوات طفولتها ثم سنوات اليفاعة بعد ذلك إن محمد فتحى كان أحد مذيعين ثلاثة نطقوا بكلمة هنا القاهرة يوم ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ وكان هو وأحمد سالم وأحمد كمال سرور ومدحت عاصم وسعيد لطفى وعلى خليل ومجموعة من الفنيين من جنسيات مختلفة يونانيين ومالطيين وأرمن هم الذين قامت الإذاعة على أكتافهم تحت رئاسة المدير الإنجليزى حيث نص العقد بين الحكومة المصرية وشركة ماركونى على أن تكون الإدارة بيد الشركة الإنجليزية، وأذكر فى هذا المجال أنى دعوت إلى اجتماع بشأن الاحتفال بالعيد الخمسين استضفت فيه أساتذتى الرواد الإذاعيين محمد فتحى وعلى خليل وحافظ عبد الوهاب وحضره بعض من الزملاء ونواب رئيس الإذاعة ورؤساء الشبكات وعندما دخلنا إلى قاعة الاجتماع لم أشأ أن أجلس على رأس المائدة وجلست بالفعل على ضلع المائدة مثل بقية الجالسين وهنا أصر محمد فتحى وعلى خليل على أن أجلس على رأس المائدة وجاهدت كثيراً لكيلا أجلس إلا على جانب المائدة فكيف لى أن أترأس اجتماعا يحتشد له الرواد الذين علمونا أصول المهنة ونظر إلى الراحل على خليل قائلاً، أجلس على رأس المائدة فأنت رئيس الإذاعة ونحن سعداء أن نرى تلميذا لنا يتبوأ منصب رئيس الإذاعة، وقد كان وبعد أن تناقشنا فى بنود الاحتفال تطرقنا إلى الحديث عن مؤلف يؤرخ للإذاعة، وهنا قال على بك خليل:إن أقدر من يكتب هذا الكتاب هو الأستاذ محمد فتحى فهو

الذى عاصر ألف باء الإذاعة وظل فتاها الأوحد إلى أن ارتحل إلى وزارة المعارف قرب نهاية الأربعينيات وتوجهت إلى الأستاذ محمد فتحى أعرف رأيه فوافق وقال إن أمله كان فى كتاب يؤرخ للإذاعة وها هى ذى الفرصة قد جاءت وأنه على استعداد لكى يسلم أصول الكتاب بعد شهر من الآن وقبل أن نحتفل بالعيد بأسابيع عديدة وفى التوقيت المحدد جاء الأستاذ فتحى بأصول الكتاب الذى عهدنا للهيئة القومية للكتاب بطبعه ونشره، وأذكر فى هذه المناسبة أن الأستاذ محمد فتحى تقاضى مبلغ ثلاثة آلاف جنيه نظير جهده فى تأليف الكتاب الذى طبعت منه هيئة الكتاب ثلاثة آلاف نسخة وزعت الإذاعة المئات منها على دور الصحف والأدباء والمثقفين والمتعاملين مع الإذاعة من ملحنين وكتاب دراما وغيرهم ولايزال هذا الكتاب هو المرجع الرئيسى لكل باحث فى تاريخ الإذاعة ونشأتها وتطورها، ولا أدرى لماذا لا أقرأ عن رسائل ماجستير أو دكتوراه تتحدث عن الإذاعة المصرية منذ مولدها وكيف تطورت وتتحدث عن بنود العقد بين الحكومة المصرية وشركة ماركونى وكيف كان الاستعمار مسيطرا خاصة إبان سنوات الحرب العالمية الثانية على مقدرات الإذاعة. إن الإذاعة المصرية النشأة والتطور والبرامج والنجوم كلها أمور تستحق أن يتوفر على دراستها طلاب الماجستير فى كليات الإعلام، إن نجما إذاعيا مثل عبدالوهاب يوسف يستحق أن يكون موضوعا لرسالة ماجستير فقد كان مذيعا صاحب صوت ذهبى وكان شاعرا ومؤلفا للأغانى ومخرجا فذا وهو الوحيد تقريبا من بين أبناء الإذاعات العربية جميعا، الذى فاز له برنامج إذاعى بجائزة دولية فى مهرجان يارى بإيطاليا سنة ١٩٥١ هو برنامج "خوفو بانى الهرم الأكبر" وقدم العديد من البرامج الإذاعية ومات ولم يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما، ونفس الأمر ينسحب على نجوم إذاعيين آخرين مثل محمد فتحى الذى لقبه مصطفى أمين وعلى أمين بلقب كروان الإذاعة والذى كان له أسلوب فى الأداء أمام الميكروفون لا يدانيه فيه أحد غيره وكان المتلقون ليلة الخميس الأول من كل شهر فى حفل كوكب الشرق ينتظرون ما سيقوله محمد فتحى وصفا لكوكب الشرق وفستانها وتسريحة شعرها ومنديلها وما تتحلى به من الحلى، ونفس الأمر ينسحب على بابا شارو صاحب الريادة فى الأعمال الضخمة مثل ألف ليلة وليلة ومثل كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، وغير ذلك كثير وكثير مما يمكن أن يكون مجالا لبحوث نوثق العمل الإذاعى منذ النشأة وتتحدث عن تطور الفنون الإذاعية وتحكى تاريخ نجوم الميكروفون.

□□□

الفصل السابع عشر

ما بين السودان ولوس انجلوس

فى نوفمبر سنة ١٩٨٣ سافرت مصاحبا السيد وزير الإعلام إلى العاصمة السودانية فى زيارة رسمية للبلد الشقيق تستهدف توثيق الأواصر الإذاعية بين القطرين الشقيقين فقد رؤى أن تقام إذاعة تسمى إذاعة وادى النيل بدلا من إذاعة ركن السودان الذى كان قد مر على إنشائها حوالى ثلاثين عاما، فقد بدأ ركن السودان يبث إرساله لمدة ساعة يوميا مقتطعة من ساعات إرسال البرنامج العام (هنا القاهرة) فى مستهل سنة ١٩٥٤ وكان يشرف عليه السيد توفيق البكرى وهو واحد من أبناء السودان ممن تشربوا بمبادئ وحدة السودان ومصر

وفى ركن السودان هذا تمرس وتتلمذ طائفة من الإذاعيين مثل المعتصم سيد وإيهاب الأزهرى وفؤاد عمر ومحمد أمين وفاروق الجوهرى وهم وغيرهم الذين جابوا أنحاء الجنوب يقدمون عنه صورا صوتية وريبورتاجات إذاعية ويديرون حوارات مع أبناء السودان. ومن خلال ركن السودان تعرفنا إلى بعض الأصوات الغنائية من القطر الشقيق مثل عائشة الفلاتية وسيد خليفة وأحمد المصطفى وكان ركن السودان يستقبلهم فى القاهرة ويسجل لهم أغانيهم إضافة إلى ما كان يسجله من حفلات غنائية تقام فى الخرطوم وكان ركن السودان مجالا تنطلق منه الأصوات السودانية المطالبة بوحدة وادى النيل، وعلى موجة ركن السودان قدمت برنامجا رياضيا تحت عنوان «الرياضة فى وادى النيل» كان يذاع أسبوعيا لمدة عشر دقائق وكنا نقدم فيه أخبار الرياضة ونتائج مباريات الدورى السودانى كما كنا نلتقى فيه بنجوم الكرة السودانية والمسئولين عنها فى اتحاد السودان لكرة القدم، ولما رؤى مضاعفة الاهتمام الإعلامى بين البلدين سافر السيد وزير الإعلام وأنا برفقته إلى الخرطوم حيث التقانا الأخوة هناك بالترحاب الكبير ومكثنا هناك ثلاثة أيام وقعنا خلالها بروتوكول إنشاء إذاعة وادى النيل بحيث تكون ذات فرعين فرع فى القاهرة وفرع فى الخرطوم ويتم التعاون بينهما والتنسيق فى مجال إذاعة نشرات الأخبار والأحاديث السياسية وإذاعة البرامج التى تبرز ملامح الأخوة والرباط الوثيق بين البلدين، وتقرر أن يبدأ إرسال إذاعة وادى النيل بصفة رسمية من أول يناير سنة ١٩٨٤ وقبل موعد الافتتاح ببضعة أيام وصل إلى القاهرة وزير الإعلام السودانى ومعه وفد من رجال الإذاعة السودانية واستقبلنا الوزير والوفد السودانى فى مطار القاهرة بوفد من الإذاعيين يرأسه السيد وزير الإعلام وأقامت الإذاعة بهذه المناسبة حفلا غنائيا فى مسرح الجمهورية أحياه مجموعة من الفنانين المصريين ومجموعة من الفنانين السودانيين وتم افتتاح

الإذاعة الجديدة فى صباح يوم أول يناير سنة ١٩٨٤ بكلمات من وزيرى الإعلام فى البلدين وبكلمات من رئيسى إذاعتى البلدين، كانت الإذاعة الوليدة تبث فى اليوم ست ساعات وهى الآن تبث ضعف هذا الوقت حاملة فى بعض من برامجها عطر جنوب الوادى وتوالى على رئاستها العديد من الإذاعيين الذين ارتبطوا بالقطر الشقيق حتى إن رئيسا لها هو الراحل فؤاد عمر بعد أن أحيل إلى المعاش أهدته جامعة الخرطوم الدكتوراة الفخرية نظير ما قام به من جهود ونظير ما قدم من برامج كان هدفها توثيق الروابط وعرى المحبة والأخوة بين شطرى الوادى وها هو ذا رئيس آخر لهذه الإذاعة هو فاروق الجوهرى وبعد أن أحيل إلى المعاش يعمل فى السودان محاضرا فى جامعة الخرطوم ويكاد يمضى أغلب شهور السنة فى الخرطوم بعد أن تأقلم على الحياة هناك ولا يرضى بغير الحياة فى السودان بديلا.

الدورة الأخيرة ..

قرب موعد إقامة الدورة الأوليمبية فى مدينة لوس أنجلوس صيف ١٩٨٤ وجدت الحنين يشدنى إلى الدورة خاصة وأنى تقريبا ـ رجل الإعلام الإذاعى الوحيد الذى قدر له أن يغطى خمس دورات أوليمبية من قبل بدءا بدورة روما سنة ١٩٦٠ ومروراً بدورة طوكيو سنة ١٩٦٤ ودورة المكسيك سنة ١٩٦٨ ثم دورة ميونخ سنة ١٩٧٢، ثم دورة مونتريال سنة ١٩٧٦ ولم يقدر لى أن أقوم بتغطية دورة موسكو سنة ١٩٨٠ نظرا لأن مصر قاطعت الدورة متضافرة فى ذلك مع عدد من الدول بمناسبة الغزو السوفيتى لأفغانستان وعجيب أن نمتنع عن المشاركة فى دورة موسكو التى قاطعتها الولايات المتحدة الأمريكية فى حين أن بلدا مثل أنجلترا لم تقاطع الدورة وشاركت فيها بفرق عديدة وبفعالية كبيرة «وللسياسة شئون وشئون» – المهم أننى قلت لرئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون الراحل حسين عنان إننى أريد أن أختتم نشاطى الإذاعى الرياضى وأنا رئيس للإذاعة بتغطية الدورة الأوليمبية ووافق الرجل ومن خلال اللجنة الأوليمبية المصرية تم اعتمادى كواحد من رجال الإعلام الرياضى المصاحب للفرق المصرية ووصلت إلى لوس انجلوس وتوجهت إلى المركز الصحفى لاستخراج البطاقة الصحفية التى تخول لى التحرك فى الملاعب بحرية دون قيود، وعقب استخراج البطاقة الإعلامية الخاصة بى وبعد أن وضعوا كل المعلومات المتعلقة بى فى كمبيوتر المركز الصحفى أخذنى الصديق العزيز عادل شريف – رحمه الله – إلى جهاز الكمبيوتر وقال لى سترى شيئا لطيفا يخصك وكتب أسمى الذى ظهر على شاشة ثم ضغط أحد الأزرار فإذا بورقة تخرج من بطن الكمبيوتر فيها معلومات عنى تقول إننى قمت بتغطية الدورات الأوليمبية من روما إلى مونتريال وإننى الإذاعى الوحيد الذى يقوم بتغطية الدورة الأوليمبية السادسة فى حياته الإذاعية وإننى مقدم برامج رياضية فى إذاعة القاهرة وبعض المعلومات عن السن والجنسية وغير ذلك ولا أدرى من أين جمعوا المعلومات المتعلقة بتغطيتى لخمس دورات أوليمبية سابقة على دورة لوس أنجلوس، ولوس أنجلوس المدينة الكبيرة التى تقع فى أقصى الغرب الأمريكى هى المدينة الثانية بعد لندن وباريس التى نظمت الدورة الأوليمبية مرتين فقد كانت المرة الأولى التى نظمت فيها الدورة فى أوليمبياد سنة ١٩٣٢

ولم تشارك فيه مصر لبعد المسافة وأقاموا حفل افتتاح دورة ١٩٨٤ فى نفس الاستاد الاوليمبى الذى أقاموا فيه حفل افتتاح دورة سنة ١٩٣٢ بعد أن أدخلوا عليه تحسينات وتجديدات أعادت إليه شبابه. وكنت قد قلت: إن اللجنة المنظمة لدورة لوس انجلوس ربحت أرباحا طائلة من وراء تنظيم الدورة وهى المرة الأولى التى لا تخسر فيها البلد المنظم للدورة بعد أن نظموها بعقلية احترافية، فلا شىء بالمجان لا النقل الإذاعى ولا النقل التليفزيونى ولا الإقامة فى الفنادق والمشاركون من الرياضيين والإداريين يدفعون ثمن إعاشتهم فى القرية الأوليمبية هذا من ناحية ولكن من ناحية أخرى استغلوا الحدث استغلالا اقتصاديا مبهرا، كما تفننوا فى بيع شعارات الدورة من كوفيات وكاسكتات وتى شيرتات وأكواب وأطباق وغيرها أكثر من ذلك أخذوا ضريبة وقوف سيارات المتفرجين على المباريات وكل حسب بعده أو قربه من الملعب بل واتفقوا مع السكان فى الشوارع القريبة من الملاعب لكى يتركوا أماكن انتظار سياراتهم للمتفرجين نظير مبالغ معينة وكثيرون من السكان قبضوا مبالغ مالية وقاموا بإجازة خارج المدينة ليتركوا مساحة يقف فيها عربات المتفرجين، المهم أن اللجنة المنظمة فى نهاية الأمر ربحت من هذا كله ومن الإعلانات أيضا مبلغا وقدره ٤٠٠ مليون دولار بعد تغطية تكاليف الدورة ووزعوا هذه المبالغ على الاتحادات الرياضية حتى إن اتحاد جنوب كاليفورنيا لألعاب القوى بلغت حصته مبلغ ١٠٠ مليون دولار تسهم فى اكتشاف الأبطال فى ألعاب القوى وتدريبهم وصقلهم ليكونوا بعد ذلك أبطالا فى مضمارات الجرى أو الوثب أو القفز ويقفون على منصات التتويج ويحرزون الميداليات لبلدهم وهكذا تكون الرياضة صناعة تديرها عقول محترفة. ولم أسعد كثيرا بدورة لوس انجلوس فالملاعب بعيدة عن بعضها فبين الاستاد الرئيسى وصالة كرة السلة فراسخ وأميال ونفس المسافة بين صالة الملاكمة وحمام السباحة وليس هناك من وسيلة مواصلات مخصصة لرجال الإعلام مثل ما جرى عليه الأمر فى دورة طوكيو مثلا وعلى رجل الإعلام أن ينتقل من هنا إلى هناك بطريقته الخاصة حتى إننى والزميل الراحل فايز الزمر رئيس البرامج الرياضية فى التليفزيون استأجرنا سيارة صاحبها مصرى مقيم فى لوس انجلوس ويمت بصلة القرابة لفايز وكان يتقاضى منا – إكراما لنا – خمسين دولار يوميا لينقلنا من هنا إلى هناك، ولعل ذلك كله هو الذى حدا بى إلى قطع إقامتى والعودة إلى القاهرة قبل أن تنتهى الدورة تاركا أمر تغطيتها إلى زميلى أحمد عبد الفتاح الذى كان هو المنوط به عملية التغطية باعتباره رئيس البرامج الرياضية بإذاعة الشباب والرياضة، وفى لوس انجلوس التقيت بصديق مصرى هاجر إلى أمريكا فى الستينات هو الأخ منير الصايغ وكان من أصدقاء آل عوف يوسف وعبد المنعم – رحمهما الله – وكان يحضر معهما بروفات وتسجيلات برنامج «ساعة لقلبك» ولا أدرى إلا والتليفون يدق فى حجرتى بالفندق وعلى الطرف الآخر الأخ منير الذى عرف بعد اتصال مع يوسف عوف أننى فى لوس انجلوس وبادر بالاتصال برياسة البعثة الرياضية الأوليمبية ليعرف الفندق الذى أنزل فيه وهكذا تم الاتصال «وأهلا، منير وازيك يا راجل وكيف حالك فقال على الفور سأكون عندك فى الفندق لتعرف إجابات كل هذه الأسئلة» إن اللقاء مع الأصدقاء وخاصة

فى الغربة يعتبر شيئا يبعث على الارتياح والطمأنينة وهذا ما أحسست به عندما دخل على فى الفندق الأخ منير الصايغ ومعه زوجته أذكر أن زوجتى كانت تصاحبنى فى هذه الرحلة، وعرفت من الأخ منير أنه يعيش مستقرا فى لوس انجلوس وأنه يعمل فى إحدى الشركات وكل شىء «عال العال» وفى اليوم التالى دعانى الأخ منير لكى نذهب إلى لاس فيجاس مدينة القمار الشهيرة فى الغرب الأمريكى.

وفى أمريكا يسهلون للإنسان عملية السفر إلى لاس فيجاس وكأنهم يحرضونه على المقامرة فأجرة الأتوبيس خمس دولارات ذهابا وإيابا للفرد والمسافة طويلة بين البلدين ولو أراد الإنسان أن يذهب إلى مدينة القمار بتاكسى مثلا لدفع مائة دولار على الأقل ولكن فى مقابل ذلك فهناك شروط يجب اتباعها ومنها أنك لا تدخل إلا الملهى الفلانى ولا تتناول الغداء إلا فى المطعم الفلانى وحذار أن تدخل مكاناً آخر ذلك أن الملاهى والمطاعم هناك تتفق مع شركات النقل الجماعى على ذلك وتدفع بالطبع فرق ثمن السفر بهذه الشركات والذى حدث أن الأخ منير لم يتبع هذه التعليمات ودعانا إلى تناول الغداء فى مطعم غير المتفق عليه وتناولنا بالفعل الغداء هو وزوجته وأنا وزوجتى وكانت الطامة الكبرى عندما وجدت مسئول الاتوبيس يقول لنا: إنكم أخللتم بالشروط وإنكم تناولتم الغداء فى المطعم الفلانى ولذلك فإنكم إذا أردتم العودة معنا فعلى كل واحد منكم أن يدفع مبلغ ستين دولارا هى الأجرة الحقيقية للمسافة ما بين لوس انجلوس ولاس فيجاس وحاولنا أن نتملص وحاولنا أن نستعطف ولكن دون جدوى وبالفعل دفعت أنا وزوجتى مبلغ ١٢٠دولاراً لمسئول الأتوبيس حتى نتمكن من إتمام الرحلة مع المجموعة التى جاءت معنا من لوس انجلوس وظللنا بقية اليوم لا نكاد نبارح الملهى المتفق عليه والملئ بكل ألوان القمار خاصة الماكينات التى تلعب القمار معها وأذكر أننى لعبت عدة أشواط من البوكر مع إحدى الماكينات وكسبت من خلال ذلك مبلغا تجاوز الخمسين دولارا، ولا تزال الصداقة وطيدة مع الأخ منير الذى يتصل بى تليفونيا فى المناسبات لنتذكر معا أيام الصبا والشباب فى خمسينات وستينات القرن الماضى.

❑❑❑

الفصل الثامن عشر

أكون أو لا أكون

ذلك هو المبدأ الذى اتخذته لنفسى طول عملى بالإذاعة ـ وكان هذا من فضل الله على أن جعلنى أؤمن بهذا المبدأ أو اتخذه طريقا لى ما دام الحق فى جانبى ـ ذلك أننى لم أشأ أن أكون «طيشة» أو ألا أكون صاحب قرار طالما أننى أتبع التعليمات وأعرف تماما حدود وظيفتى وأنى لا أجور على حقوق الآخرين، ولعل فيما رويته آنفا بخصوص ما حدث بينى وبين رئيس الإذاعة الراحل عبد الرحيم سرور وكيف رأى وزير الإعلام الدكتور كمال أبو المجد أن الحق فى جانبى – لعل فى ذلك الدليل على ما أقول، وفى هذا السياق أذكر أنه فى مستهل عملى كرئيس للإذاعة دخل على فى مكتبى الصديق العزيز المهندس فاروق عامر – وكان يشغل منصب رئيس تشغيل الاستديوهات والهندسة الإذاعية الخارجية وهو منصب مهم للغاية حيث يدير شاغله حركة الاستديوهات وغرف المراقبة والتسجيلات والإذاعات الخارجية وهى إدارة يعمل فيها المئات من الفنيين من مهندسين ومساعدين فنيين – أقول دخل على المهندس فاروق ليقول لى: إنه قادم على التو من مكتب السيد رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون الذى طلب منه أن يقوم بكذا وكذا وأن يرتب إذاعة خارجية من مكان معين. وهنا تذكرت حكاية « ذبح القطة من أول ليلة وبالفعل قررت أن أذبحها، وقلت للمهندس فاروق أن يظل جالسا ليسمع ما سيدور من حوار بينى وبين السيد رئيس الاتحاد.

وطلبت السيد رئيس الاتحاد عبر تليفون الـ"بى. بى .اكس" الذى يربطنى به مباشرة دون تدخل من عمال السويتش وبعد أن ألقيت عليه تحية الصباح قلت له سائلا عما إذا كان يشك فى قدراتى الإذاعية أو أنه لا يثق فى استطاعتى القيام بأى عمل يطلب منى القيام به ؛ فقال الرجل حاشا لله فقلت له إذن أرجو أن تعلم أننى رئيس إذاعة محترف الصنعة منذ أكثر من ثلاثين عاما وأننى لا أقصر فى عملى حتى أننى الوحيد من بين العاملين جميعا فى الإذاعة من مسئولين كبار الذى يدخل مكتبه فى الساعة الثامنة والنصف صباحا ولا يغادره إلا بعد الثالثة ثم إننى أحضر فى المساء لامكث فى مكتبى حوالى أربع ساعات فى حين أن أحدا من المسئولين جميعا لا يدخل المبنى بعد الظهر. وهنا بادرنى متسائلا وقائلا «ليه دا كله» قلت لأنك استدعيت واحداً ممن يعملون تحت رياستى وطلبت منه أن يقوم بعمل كذا وكذا دون علم منى واستطردت أقول له أنك لو طلبت منى هذا الأمر لنفذته لك بكل الدقة المطلوبة أما أن تطلبه من أحد مرؤسى فأنا لا أقبل هذا ولا أرتضيه لنفسى وإذا كنت على مستوى أقل من تحمل مسئوليتى كرئيس للإذاعة فالأحسن أن تصدروا قرارا بإبعادى وتعيين أحد غيرى أحسست فى هذه

اللحظـة أن الرجـل أصابه نوع من الانزعاج عندما قال لى لماذا تأخذ الأمور بهذه الحدة وقلت على الفور إنى أكون أو لا أكون، وأقول إن الرجل كان كريما غاية الكرم فقد أبدى تفهما لموقفى وقال لى لا تزعل وأنه لم يقصد إطلاقا التقليل من شـأنى وانتهى الأمر ولم نعد لمناقشـة الموضوع وكأنه لم يحدث بالمرة، الأمر الثانى الذى ناجزت فيه من أجل التمسك بحقوقى كرئيس للإذاعة أنه خلا منصب رئيس الإدارة المركزية للشـئون المالية والإدارية، وهو منصب رفيع المسـتوى حيث يرأس شاغله الشأن الإدارى والمالى للجهاز وتحت إمرته العديد من الإدارات مثل الحسابات والعقود والمشتريات والميزانية وغيرها وغيرها، أقول خلا المنصب لخروج شـاغله للمعاش بعد بلوغ السـن. وفى جلسة مع السيد رئيس الاتحاد قال لى إنه سـيكافئنى بتعيين شـخص يعمل فى القطاع الاقتصادى ليحل محل المحال إلى المعاش ومعروف أن السـيد رئيـس الاتحاد كان من قبل رئيسـا للقطاع الاقتصادى، وهنا قلت لـه يا ريس دى حقوق ناس والحقوق دى أمانة فى رقبتى وهناك من أبناء الإدارة المركزية للشـئون المالية والإدارية بالإذاعة من هو أهل للمنصب ومن تمرس على العمل فى مناحى هذه الإدارة المركزية منذ نعومة أظافره، وأنا لا أقبل أن يقفز بالباراشـوت هواة المناصب على المراكز الشـاغرة بالإذاعة وأقول لعلك يا ريس توافقنى فى أننى لو وافقتك على رأيك لنظر لى أبناء الإدارة للشـئون المالية والإدارية نظرة ليس فيها أى احترام وأن كيانى كرئيـس للإذاعـة يتوقف على مدى ما أقوم به من جهد فى سـبيل الحفاظ لأبناء الإذاعة على حقوقهم التى منها أن يحتل أبناء الصف الثانى الأماكن التى تخلو عندما يتركها أبناء الصف الأول لأى سـبب من الأسباب وقد كان وتم تعيين مدير عام العقود رئيساً للشئون المالية والادارية.

وأمـر آخر رأيـت أن تفريطى فيه سـيجعلنى لا أحس أننى رئيس قطاع لـه كل الصلاحيات بقدر ما يجعلنى أحس أننى مجرد «باشـكاتب» ينقل الأوراق من هنا وهناك ليأخذ فيها رأى رئيس الاتحاد الـذى قد يوافـق أو لا يوافق على ما اقترحه، والحكاية أنه فى الاجتماع الذى يضم رؤسـاء القطاعات ويرأسـه رئيس الاتحاد وهو ما يسـمى اجتماع المجلس التنفيذى للاتحاد كان رئيس الاتحاد يستعرض جـدول الأعمال ويتم المناقشـة ويؤخذ الرأى الأخير وفى أحد هذه الاجتماعـات وبعد أن انتهى رئيس الاتحاد من مناقشـة كل البنود الواردة فى جدول الأعمال أغلق سـيادته الملف وقال أريد أن أحدثكم فى شىء فانتبهنا جميعا فقال إنه يود أن يكون تعيين الموظفين بنظام التعاقد من حقه، وكان العمل يجرى على أساس أن كل رئيس لقطاع من قطاعات الاتحاد مثل قطاع الإذاعة وقطاع التليفزيون وقطاع الهندسة الإذاعية والقطاع الاقتصادى وقطاع الأمانة العامة للاتحاد وغيرها كان من حقه حسب حاجة العمل أن يعـين موظفـين فى قطاعه بنظام العقد أو بنظام القطعة كما كان معروفاً حينذاك ثم أردف السـيد رئيس الاتحـاد يقول إنه بالقطـع لن يرفض رغبة لأى رئيس قطاع عندما يتقدم طالباً تعيين هذا أو ذاك بنظام العقـد، حقيقة وقع الكلام على مسـامعنا وقعا أصاب بعضنا «بالبكم» فلـم يحر أحد منهم جوابا وكان معنى ذلك أن السكوت علامة الرضا وبالتالى كان سيدون ما اقترحه رئيس الاتحاد كموافقة على اقتراحه من خلال ما يسـمى ببند خارج جدول الأعمال، ولكننى لم أصمت ورأيت فيما اقترحه رئيس الاتحاد

سلباً لميزة يتمتع بها رؤساء القطاعات فقلت لكن يا ريس دا أمر اعتبره تقليلاً من شأن رئيس القطاع وكيف ننزع منه أمراً يعد من صميم كيانه وأنا آسف لأننى لن أوافق عليه وليكتب سكرتير الجلسة ذلك فى المحضر حتى مع موافقة زملائى الآخرين على الاقتراح، وهنا وجد رئيس الاتحاد أن الأمور ستتأزم فقال طيب نترك المناقشة فى هذا الأمر إلى الاجتماع القادم وحتى تهدأ أعصاب الزميل العزيز ولم أشأ أن أزيد النار اشتعالاً فاستأذنت فى مغادرة الاجتماع وبدلاً من أن أذهب إلى مكتبى صعدت على الفور إلى الدور التاسع حيث مكتب وزير الإعلام الذى دخلت عليه وقصصت عليه ما جرى حتى يكون على علم بموقفى وأشهد أن الرجل كان غاية فى تفهم الوضع حتى إنه قال لى: إنه لا يحب أن تتزعزع الأمور المستقرة فى حركة العمل بالقطاعات، وفى الاجتماع الثانى لم يناقش الموضوع واسدل عليه الستار ولم يفتح الستار مرة ثانية إلا بعد خروجى بعد نهاية الخدمة لبلوغى السن القانونية وأصبح رئيس الاتحاد هو صاحب القرار فى التعيين بنظام القطعة فى كل القطاعات وأصبح رئيس أى قطاع لا يستطيع أن يعين فراشاً بقطاعه إلا بعد أخذ الموافقة من رئيس الاتحاد وكثيراً ما تظل الأوراق الخاصة بهذا الأمر والمرسلة من رؤساء القطاعات إلى رئيس الاتحاد مركونة بالشهر أو الشهرين والقليل منها هو الذى يتم عليه الموافقة بعد الإلحاح المتوالى من رؤساء القطاعات ولم يعد الأمر محل اهتمام رؤساء القطاعات خاصة بعد أن تضاعفت مكافآتهم ورواتبهم واللهم لا حسد فقد كان رئيس القطاع فى الثمانينات وأنا واحد منهم إذا بلغ مرتبه ومكافآته وبدل حضور الجلسات مبلغاً يصل إلى ٨٠٠ جنيه شهرياً يكاد يرقص فرحاً واليوم على ما نسمع أو حسبما يتردد أن رئيس قطاع الإذاعة مثلاً إذا وصل مرتبه وبدلاته ومكافآته إلى أربعين ألف جنيه شهرياً فإنه يصاب بالاكتئاب ويقال إن جملة «إشراف رئيس الإذاعة» التى يقولها المذيع فى حفل غنائى للإذاعة يتقاضى رئيس الإذاعة من أجلها مبلغاً وقدره ثلاثة آلاف جنيه ناهيكم عن عضوية اللجان وما يصرف لهم نظير هذه العضوية فقد جاء بعدنا فى المبنى الضخم الرابض على النيل فى ماسبيرو من قنن المبالغ الطائلة التى يتقاضاها رؤساء القطاعات باعتبارها أمراً قانونياً لا غبار عليه.

مراكز القوى ..

أمر آخر ارتطمت فيه بما يسمى بمسئول الأمن فى القطاع ومسئول الأمن أو مدير أمن القطاع كان صاحب صول وصولجان وترسبت عقدة مدير أمن القطاع فى نفوس العاملين بالمبنى منذ حكاية مراكز القوى التى خرج على أثرها من المبنى عدد كبير من الكوادر الإذاعية مسموعة ومرئية إلى مؤسسات وهيئات لا يعرفون ألفها من بائها وقيل يومئذ إن مديرى أمن القطاعات كان لهم الدور الرئيسى فى كتابة التقارير التى أودت بهذه الكوادر خارج المبنى، كان مدير أمن الإذاعة الذى انتقل إلى رحمة الله رجلاً فاضلاً شديد الأدب وكان عقيداً فى القوات المسلحة وجاءوا به ليشغل منصب مدير أمن الإذاعة، وكانت له إرهاصات فنية فكان يكتب مسلسلات إذاعية ويقدم قصصاً قصيرة وهو أمر لا بأس به طالما أن الإدارات المسئولة عن إجازة النصوص ترى فيما يكتب أنه صالح للإذاعة عبر الميكروفون، وكان

الرجل يدخل علىَّ فى مكتبى كل صباح ليقول لى إن كل شىء تمام وكنت أضحك بينى وبين نفسى وأتساءل عن هذا التمام وهل نحن فى معسكر من معسكرات القوات المسلحة وكنت أعرف أن من مهام مديرى الأمن فى المبنى أنهم يقدمون تقريراً يومياً للمسئولين يقولون فيه من دخل المبنى من الشخصيات المعروفة ومن شوهد مع من وما هى العلاقة التى تربط هذا بذاك أو هذه بتلك إلى غير ذلك من عديد الأخبار والأحداث والأقاويل التى تجرى فى المبنى الكبير والآلاف المؤلفة التى تعمل فيه أو تجوب جنباته كضيوف فى عشرات البرامج المسموعة والمرئية. إلى أن حدث حادث كشف لى عن أن هناك أموراً أخرى تجرى فى المبنى وأن رجال الأمن يتدخلون فيها على رغم أنها لاتدخل فى اختصاصاتهم، مثلاً تدور مشاجرة بين زميل وآخر فإذا بمدير الأمن يحضر المتخاصمين ليعرف أسباب الخصام أو أن هناك زميلاً له دين عند زميل آخر فيلجأ إلى مدير الأمن ليحل له المشكلة وهكذا والحادث الذى كشف لى عن هذه الأمور يتلخص فى أن الفنى الذى يدير حركة الإرسال فى استديو إذاعة القرآن الكريم فوجئ فى أحد الأيام قبيل التاسعة صباحاً وكان اليوم يوافق الأحد بأن قداس يوم الأحد الذى يذاع على إحدى الموجات الإذاعية «ركب» وغطى على إذاعة القرآن الكريم وأن القداس ظل «راكباً» على إذاعة القرآن الكريم لمدة سبع دقائق والفنى فى حالة ذهول ومسئولو غرفة المراقبة يجرون هنا وهناك ليعرفوا مصدر هذا «الركوب» ويعملوا على إيقافه المهم أن رئيس التشغيل والمهندس جاءوا إلى مكتبى يجرون ومعهم مدير التنسيق ويقصون علىَّ القصة، كان ذلك فى الساعة التاسعة والربع صباحاً ولو أننى لم أكن ملتزماً بالتواجد فى مكتبى قبل التاسعة ما كنت أدرى بالموضوع وعلى الفور وقبل أن يأخذ الموضوع حجماً أكبر من حجمه بادرت بالاتصال بوزير الإعلام فى منزله وكان قبل بضع ساعات قد عاد من زيارة قام بها للمملكة المغربية. وقالت لى السيدة الفاضلة حرمه إنه نائم فقلت لها إن الأمر يستدعى إيقاظه من نومه وبالفعل جاء الرجل إلى التليفون وقصصت عليه ما حدث وأننى بنفسى أجرى تحقيقاً لنعرف السبب وأننى سأوافيه بكل التفاصيل ساعة بساعة، وهناك فى حوالى الساعة الحادية عشرة تلقيت تقريراً من رئيس التشغيل بأن السبب لا يرجع إلى خلل هندسى وإنما يرجع إلى هيئة التليفونات التى أراد فنى يعمل بها أن يصلح بعض الخطوط التليفونية فى منطقة السنطة التى يوجد بها إرسال إذاعة القرآن الكريم وإرسال البرنامج الذى يبث القداس فإذا به – أى فنى التليفونات – يغير فى بعض الكابلات والتوصيلات مما أدى إلى ركوب القداس على خط التليفون الذى يحمل برامج إذاعة القرآن الكريم من الاستديو فى ماسبيرو حتى موقع محطة الإرسال وبالفعل اتصلت بالسيد الوزير وأعطيته كل المعلومات عن الموضوع وأن الأمر لا يعدو أن يكون خطأ غير مقصود وأننا تأكدنا من أن إصلاح عطب فى تليفونات السنطة أدى إلى ذلك.

وقال لى السيد الوزير إنه فى الطريق إلى مكتبه ويود أن يلتقى بى لنتدارس الأمر معاً.. كانت الخشية أن يكون ما حدث بفعل فاعل يريد أن يؤلب النفوس ويشعل فتنة وهذا ما وضعناه فى الحسبان وكنت

أعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون بينى وبين السيد الوزير إلى أن تبين لى أن مدير الأمن بالإذاعة كان له رأى آخر والذى حدث أن مدير أمن الإذاعة عندما وصل إلى مكتبه بعد الهنا بسنة وعرف بالأمر أراد أن يكون له دور وإلا ينطبق عليه القول إنه كان آخر من يعلم فما كان منه إلا أن استدعى مدير التنسيق والفنى المختص بإذاعة القرآن الكريم ومشرف غرفة المراقبة وفتح معهم محضراً رسين وجيم وكان جديراً به أن يحضر إلى مكتبى لكى يعرف الموضوع وعندما علمت بذلك طلبت من السكرتارية أن تبلغه بأن يرسل لى على الفور من يحقق معهم فى مكتبه وأننى انتظره فى مكتبى ودخل علىَّ مدير التنسيق والفنى ومشرف المراقبة فقالوا لى إنهم تلقوا مكالمة تليفونية من رئيس الأمن طالباً منهم الحضور إلى مكتبه وأخذ يسألهم عن الأحداث محرراً محضراً بأقوالهم، وقلت لهم كيف تستجيبون لمكالمة تليفونية من رئيس الأمن وهل هو رئيسكم المباشر؟.

وقبل أن يجيبوا عن أسئلتى قلت لهم إن حوافزكم هذا الشهر لن تصرف لكم لأنكم تستجيبون لأوامر من لا يملك إصدار أوامر لكم وهنا حضر السيد مدير الأمن باديا عليه التجهم فهو من قبل لم يعهد مثل هذا التصرف وقلت له أمام من فى مكتبى كيف لك أن تستدعى الموظفين إلى مكتبك وتد تفسر منهم عن أمور كان أجدر بك أن تحضر إلىَّ لتعرفها منى شخصياً وكيف تفتح محاضر سين وجيم وأنت لست جهة تحقيق وإذا كان الأمر كذلك فالأحرى أن نسرح العاملين فى الإدارة المركزية للشئون القانونية التى من شئونها التحقيق فى أى أمر يحدث فى الإذاعة يستدعى التحقيق وقلت له أين كنت عندما وقعت الحادثة واستطردت أقول إننى أنا الذى شهد الواقعة منذ بدايتها وأنا الذى أخطرت بها وزير الإعلام فى حين إنك لم تكن قد وصلت إلى مكتبك بعد، وهنا قال أصل المخابرات لازم تأخذ علم، وقلت له وما دخل المخابرات فى هذا الشأن واشمعنى المخابرات ولماذا لا تقول أيضاً وجهاز أمن الدولة يأخذ علم، وعلى عينى وراسى الجهاز ولكن عن طريقى أنا وليس عن طريق أحد آخر، وأنت موظف بالإذاعة وليس فى جهاز من الجهازين واستطردت أقول إننى أيضاً سمعت أنك تحقق فى أمور تحدث بين الموظفين وأن أى اثنين يتشاحنان معاً تحضرهما إلى مكتبك وهات يا سين وجيم، ثم تعرضت إلى وظيفته وهى لا تخرج عن كونه حارساً هو ورجاله للإذاعة واستديوهاتها أما تدخله فى الشأن البرامجى فهذا لن يكون.. ثم قلت له اعلم أن الإذاعة لها رئيس واحد وأى تصرف من أى أحد يخرج عن هذا الإطار فهو غير مقبول.

كان الذى حدث فى مستهل عملى كرئيس للإذاعة وظلت بعد ذلك قرابة أربع سنوات أشغل هذا المنصب لم أسمع خلالها أن أمن إذاعة خرج عن واجبات عمله وتدخل فى شأن لا يخصه .

وأذكر أن السيد وزير الإعلام قال لى بعد ذلك بأسبوعين: إن مدير أمن الإذاعة واخد على خاطره منى وقلت له وأنا مستعد لتطييب خاطره بشرط ألا يجعل من نفسه مركزاً للقوى فى الإذاعة، وقلت أيضاً أظن يا سيادة الوزير أنك لا ترضى أن يكون هناك رئيسان للإذاعة لأن المركب التى لها رئيسان

يصيبها الغرق على الفور، وسارت الأمور بعد ذلك حسبما تقضى اللوائح وإن كنت قد طيبت خاطر مدير الأمن وأشهد أن الرجل كان شديد الأدب حسن الخلق وظل ملتزماً إلى أن خرجت إلى المعاش بعد وصولى إلى السن القانونية.

□□□

الفصل التاسع عشر

المصداقية فى العمل وفى الخبر

وسارت الأمور على ما يرام فى جنبات المبنى وزاد التآلف بين الزملاء والزميلات خاصة بعد أن أحس الجميع أنه لا فضل لزيد على عبيد إلا بالعمل الجاد المخلص وأن كل واحد منهم مهما كانت نجوميته فإن سبيله إلى قلب رئيس الإذاعة هو مضاعفة هذه النجومية وأردت أن تتضاعف الألفة بين الزملاء خاصة وأن هناك منهم من لا يعرف زميلا له يعمل فى شبكة البرامج الموجهة أو زميلاً له يعمل فى إذاعة صوت العرب أو إذاعة القاهرة الكبرى ففكرنا فى عمل رحلات ترفيهية للزملاء فى أيام الجمع والعطلات نقضيها خارج القاهرة وكانت فكرة صائبة وباشتراك رمزى لا يزيد على خمسة جنيهات أقمنا رحلات إلى الفيوم وبحيرة قارون وإلى الإسماعيلية وبورسعيد والسويس وإلى سفح الأهرامات وغيرها من المواقع وكانت الإذاعة ومن بنود العلاقات العامة تتحمل بقية التكاليف ويتلقى المشترك فى الرحلة علبة بها سندويتشات وقطعة جاتوه وزجاجة مياه غازية ثم نتناول الغداء فى كازينو أو مطعم فى المدينة التى نزورها وكنا نستعمل أتوبيسات الإذاعة فى عملية الانتقال والسفر وأذكر أن السادة المحافظين فى المدن التى كنا نزورها كانوا يستقبلوننا بالترحاب ويخصصون لنا أمين شرطة بموتوسيكل ليسير أمام الأتوبيسات وعدداً من العاملين فى العلاقات العامة بالمحافظة لمرافقتنا فى جولاتنا كانت الرحلة لا تقل عن مائة وخمسين مشتركاً وكنا نخصص لها ثلاثة أتوبيسات كل أتوبيس يستوعب خمسين راكباً وقد كان لهذه الرحلات وقع جميل فى نفوس الزملاء حيث كان الواحد منهم يتعرف إلى زملائه ويخالطهم ويصادقهم بدلاً من التحية العابرة التى كانوا يقابلون بها بعضهم عندما يلتقون فى طرقات الإذاعة ومناحيها المختلفة وفكرنا أيضاً فى إقامة موسم ثقافى على مدى شهرين بمعدل لقاء كل يوم سبت من كل أسبوع فى الساعة السابعة مساء حيث كنا نستضيف أحد السادة الوزراء ليقول لنا عن خطته فى الوزارة أو نستضيف أحد الأدباء أو الشعراء أو رجال الصحافة المرموقين لنتحاور معهم وتدور بيننا وبينه المناقشات فى أمور الحياة، كنت ألزم المذيعين ومقدمى البرامج ورؤساء الشبكات ونوابهم بحضور هذه الندوات وكنا عقب الندوة نتوجه إلى بوفيه بسيط نتناول فيه أكواب الشاى وقطع الجاتوه، وأشهد أن هذه المواسم كانت عاملاً مهما فى تجديد الفكر وتنشيط الذهن لدى الكثير من مقدمى البرامج حيث كانوا يجدون فى مفردات هذا الموسم الكثير من الأفكار التى تكون ركيزة لبرامج جديدة يقدمونها عبر «الميكروفون»، إضافة إلى ذلك أقمنا دورات صقل للغة الخطاب فى «الميكروفون» وكان الزميل الأديب

المثقف صبرى سلامة يرحمه الله خير معين لى فى هذه الدورات فقد كان الرجل يستمع إلى العديد من البرامج ونشرات الأخبار ويدون ما يقع فيه الزملاء من أخطاء أغلبها غير مقصود وفى الدورات كان يقوم بتصويب الأخطاء، ولعل هذا الأمر هو الذى حدا بالزميل الراحل على عيسى أن يفكر فى تقديم برنامجه الذى لا تستغرق الفقرة منه إلا دقيقة واحدة وهو برنامج «قل ولا تقل» وبرنامجه الجميل «قطوف الأدب من كلام العرب» لتعم الفائدة ليس على المذيعين ومقدمى البرامج فقط وإنما على المتلقى أيضاً وبرنامج «قل ولا تقل» كان يقدم الكلمة الصواب وفى نفس الوقت يقدم الخطأ وعلى الإنسان أن يقول الصواب ويترك الخطأ أما برنامج القطوف فكان يتميز بتقديم ما قالته العرب من أقوال مأثورة وحكم غالية وكان على عيسى ومعه صبرى سلامة يجهدان نفسيهما كل الجهد من أجل البحث والتنقيب عن الصواب والخطأ الشائع وعن الكلام الجميل الذى قالته العرب ولا أدرى لماذا توقف البرنامجان بعد أن خرجت إلى المعاش؟!

صدق ومصداقية ..

وتفوقت الإذاعة على نفسها عندما فوجئنا جميعا بأحداث الأمن المركزى، لقد أثبتت الإذاعة أيام هذه المحنة أنها يمكن أن تكون الوسيلة التى تطمئن النفوس لا فى مصر فحسب ولكن فى كل مكان فى العالم يتواجد فيه أبناء مصر سواء بالهجرة أم بحكم العمل، إن المصداقية التى كانت عليها الإذاعة وهى تنقل الأحداث العصيبة التى مرت بها مصر كانت عاملا رئيسيا فى تهدئة الخواطر وإبعاد القلق والتوتر فقد قالت الإذاعة كل ما قالته بالصدق التام وبصوت هادئ ونبرة واثقة مما جعل الجميع فى الداخل والخارج لا يحركون مؤشرات الراديو إلى محطات إذاعية أخرى حاولت أن تبث الذعر فى النفوس وتعيد إلى الأذهان ما حدث أيام حريق القاهرة عام ١٩٥٢ والذى حدث أن السيد وزير الإعلام ومع الصباح الباكر يوم اندلاع الأحداث كان فى مكتبه وكانت المبادرة الأولى من سيادته هو أن ينقل «الميكروفون» الأحداث كما تقع دون نقصان، وكانت بعض الإذاعات الأخرى وخاصة الـ بى بى سى قد أذاعت الأخبار بكثير من التضخيم وقال مراسلها فى القاهرة أقوالا فيها الكثير من الافتئات على الحقيقة والواقع وقال الوزير إنه فيما يجب أن يكون عليه العمل خلف الميكروفون هو أن تكون النبرة هادئة وواثقة وأن يقوم سيادته بفتح خط تليفونى بينى وبينه فى الاستديو وأقوم بسؤاله عن مجريات الأمور فيجيب بكل الصدق وأنبه إلى أن إذاعة مّا قالت كذا وكذا فيرد سيادته قائلا إنها كانت صادقة فى كذا ولم تكن كذلك فى كذا والحقيقة أن ما قالته عن أنه شب حريق فى مكان ما والتهم سيارة أو سيارتين عار من الصحة لأن النار التهمت أربع سيارات وأن ما قالته عن إصابة اثنين أو ثلاثة من المواطنين ليس حقيقة بل إن الإصابة لحقت بعشرة مواطنين وأن واحداً منهم مات متأثراً بجراحه وإصابته وهكذا قضينا على كل من يريد المزايدة ويجعل من الحبة قبة، وظللنا على ذلك الحال لمدة ثلاثة أيام تم خلالها السيطرة على الأحداث وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعى ولعله مما يجدر ذكره فى هذا السياق أن

اتصالات تليفونية عديدة تلقيتها من مصريين لا أعرفهم يعيشون خارج مصر وكلهم نوهوا بتقديرهم للدور الـذى قامـت به الإذاعة وكيف أنهم اطمأنوا على أن الأمـر لم يخرج عن حيزه الذى كان عليه وانتهى به وأشـادوا بما كان عليه المذيعون من هدوء وثقة الأمر الذى جعلهم يشـعرون بالطمأنينة على مصر وكم كنت أود أن نسير على هذا النسق من الصدق عندما حدثت أحداث الهجوم على القنصلية الإيطالية بعد أحداث الأمن المركزى بعدة أشهر فقد جاهدت من أجل أن نسبق الأحداث بحيث لا يسبقنا غيرنا من الإذاعات الأخرى ولكن جاءت التعليمات بأن ننتظر البيان الذى سيصدره مجلس الوزراء فى هذا الشأن وظللنا ننتظر البيان ولا نذيع أى خبر عن الحدث فى حين أن إذاعات أخرى عديدة سـبقتنا فى نقل الحدث إلى العالم أجمع، وكنت أريد أن نقدم الخبر مصحوباً بصورة صوتية من موقع الحدث وجهزت المذيع ومندوب الأخبار الذين سـيقومان بالعمل ولكن جـاء انتظارنا لبيان مجلس الوزراء محبطا وأذيع بيان مجلس الوزراء الذى شجب ما حدث وأنهى الموضوع دون تعليق عليه أو دون ذكر له وكأنه حدث فى بلاد «الواق واق» ولم يحدث على بعد أستار قليلة من الإذاعة.

لمسات حانية !!..

ولن أنسـى ما حييت تلك اللمسـات الحانية والرقيقة التى أسعدنى بها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وهو يثنى على أداء الإذاعة ولكن لعل سـوء حظى أننى لم أتلق هذه اللمسـات شـخصياً ففى كل مـرة اتصل فيها السـيد الرئيس تليفونيـاً لتحظى الإذاعة بهذا التقدير أكون إمـا فى الخارج فى رحلة عمـل أو خـارج المنزل حيث كان الاتصال يتم فى الصباح فى اللحظـات التى أكون فيها أمارس بعض ألوان الرياضة من مشـى وجرى، فى المرة الأولى اتصل مكتب السـيد الرئيس بالإذاعة حوالى العاشـرة صباحـاً، كنـت أيامها فى الولايات المتحدة أغطى دورة الألعـاب الأوليمبية فى لوس أنجلوس وكانت الزميلـة الفاضلة مديحة نجيب تقوم بعمل رئيس الإذاعة باعتبارها تشـغل منصب نائب رئيس الإذاعة لم تصدق الزميلة مديحة أن على الجانب الآخر على الخط التليفونى يأتى صوت الرئيس محمد حسنى مبارك ليقول سـيادته كلمات طيبة فى حق الإذاعـة والأداء الإذاعى وقال: إنه أعجب ببرنامج «وطنى حبيبى» الذى كانت تقدمه الزميلة نادية صالح وأن الأداء الإذاعى عموماً يستحق التقدير وسأل سيادته عنـى فقالـت له الأخت مديحة هو فـى الدورة الأوليمبية وأبلغها سـيادته تحياته وهى لا تكاد تصدق ولا تكاد تقول كلمات الشـكر حتى إنها بعد المكالمة ذهبت على الفور إلى مكتب السـيد رئيس الاتحاد لتبلغـه ما حدث وترجوه أن يجرى اتصالا بالرئاسـة ليتأكد أن ما حدث هـو بالفعل مكالمة جاءت من السـيد الرئيس، المرة الثانية التى أبدى فيها السـيد الرئيس إعجابه بالإذاعة كانت عندما اتصل مكتب سيادته فى حوالى السابعة والنصف صباحاً بمنزلى طالباً مكالمتى وأن السيد الرئيس يريد أن يتحدث معى وردت زوجتى قائلة إننى منذ حوالى ساعة وأنا فى النادى أزاول رياضة الصباح قائلة لن على الخط يا خسارة دلوقتى زوجى مايتنكد قوى، ولما عدت إلى المنزل بعد وجبة الرياضة أخطرتنى زوجتى بما حدث

فاتصلت على الفور بالرئاسة وقال لى الأخ الفاضل جمال عبد العزيز إن السيد الرئيس كان يرغب فى مكالمتك تليفونياً ولكنه الآن يؤدى رياضة الصباح، وبعد أيام التقيت السيد الدكتور أسامة الباز مستشار السيد الرئيس وكان ذلك فى حفل عرس لابن أحد الأصدقاء فقال الرجل كلمات طيبة فى حق الإذاعة وفهمت من كلامه أن هذا الأداء الإذاعى نوه به السيد الرئيس واستحسنه بما كان له أطيب الأثر فى نفوسنا جميعاً – نحن أبناء الإذاعة – ففى المرة الأولى نقلت الزميلة مديحة نجيب حوارها مع السيد الرئيس إلى كل الشبكات الإذاعية بل كانت تزهو وتفخر بأن رئيس الجمهورية يستمع إلى الإذاعة ويقدر الجهد المبذول من أبنائها فى كل مجال تتواجد فيه، وفى المرة الثانية وفى اجتماع لجنة البرامج ذكرت ما حدث من اتصال تليفونى لم يكن لى حظ أن أتلقى المكالمة ونوهت أمام الزملاء بالتقدير الكبير الذى يستحقنا جميعاً على أن نضاعف من جهدنا لنكون على الدوام محل تقدير قيادتنا السياسية.

الليالى المحمدية ..

ولن أنسى أيضاً توهج الإذاعة ونحن نقدم عملين لا يزال البعض عندما يلتقى بى يسألنى لماذا توقفت الإذاعة عن تقديم هذين العملين، أما الأول فهو الليالى المحمدية، وأما الثانى فهو الحفلات الموسيقية. والليالى المحمدية فكرة الراحل الإذاعى القدير على عيسى الذى قال لى: إنه بمناسبة اقتراب موعد ذكرى مولد الرسول الكريم علية الصلاة والسلام فإنه يقترح إقامة حفل فى هذه المناسبة نطلق عليه اسم الليالى المحمدية ويكون الحفل الأول بعنوان الليلة المحمدية الأولى وهكذا فى العام القادم تكون الليلة المحمدية الثانية وذلك حتى لا يتقاعس المسئولون الذين سيتولون قيادة العمل الإذاعى بعد ذلك فى تقديم هذه الليالى وأعجبتنى الفكرة وقلت لعلى عيسى ابدأ التنفيذ على الفور وكانت الليلة الأولى سنة ١٩٨٦وهى التى غنت فيها شادية لآخر مرة، إذ امتنعت عن الغناء تماما بعد أن قدمت فى تلك الليلة أغنيتها الشهيرة «خد بإيدى» من كلمات «علية الجعار» وتلحين «عبد المنعم البارودى» وجاء الدكتور أحمد هيكل وكان وزيرا للثقافة وألقى قصيدة فى مديح الرسول كذلك جاء الشاعر محمد التهامى وألقى قصيدة فى هذا الإطار وغنى المطربون، قنديل والعزبى وياسمين الخيام.

وازدهى ليلتها حى عابدين وأقيمت الزينات والأنوار أمام مسرح الجمهورية حتى نهاية الشارع قرب قصر عابدين، وعلى رغم أن الدعوة للحفل كانت تقول بأن الحفل تحت رعاية وزير الإعلام إلا أن الوزير جاء إلى المسرح وكان معه رئيس الاتحاد والشيخ صالح كامل الذى قال لى كلمات طيبة مازلت أذكرها على مسمع من الجمع الواقف فقد قال الرجل وهو يسلم على: أهلا بمن جعلنا نشهد الإذاعة بأعيننا قبل آذاننا. على أية حال لم تطل وقفة الجمع إلا دقائق قليلة وانصرفوا بعدها ولم يشهدوا ولو فقرة واحدة من الحفل وفى العام التالى أقمنا المحمدية الثانية وقوبلت أيضاً باحتشاد عدد كبير من المشاهدين لها بمسرح الجمهورية وأقول: إن الحفلتين سجلهما التليفزيون ولا تزال الشاشة فى المناسبات الدينية لا تجد إلا فقرات الليلة المحمدية الأولى والثانية لتقدمها فى المناسبة.

أما العمل الثانى فتمثل فى الليالى الموسيقية، وكنت قد تعاقدت بصفتى رئيساً للإذاعة مع الموسيقار أحمد فؤاد حسن – يرحمه الله – لكى تكون الفرقة الماسية هى فرقة موسيقى الإذاعة التى تعزف ألحان الأغانى المختارة التى تنتجها الإذاعة وكذلك تكون هى التى تعزف للمطربين فى ليالى الإذاعة الغنائية التى كنا نقيمها كل شهر، وفى أحد الأيام جاءنى أحمد فؤاد حسن ليقول لى: إن لديه فكرة تقديم سهرات موسيقية تعزف فيها فرقة موسيقى الإذاعة مقطوعات موسيقية وألحانا موسيقية لكبار الملحنين مثل عبد الوهاب والطويل والموجى، أى تعزف الفرقة موسيقى بحتة وأنه سيقوم بتوزيع موسيقى لهذه الألحان على أن تقام فى مسرح الجمهورية مرة كل بضعة أشهر، وتمت الموافقة على الفكرة وطبعنا الدعوات ووزعناها على الإذاعيين وأسرهم وأرسلنا دعوات إلى العديد من رجال الصحافة والنقاد والأدباء واستعد المسرح لاستقبال الليالى الموسيقية وجاء التليفزيون أيضا ليسجل الحفلات واحتشد فى «بناوير» المسرح عدد كبير من المشاهير، محمد عبد الوهاب احتل هو وزوجته والفنانة وردة بنوارا وكمال الطويل والموجى وحلمى بكر وغيرهم جاءوا أيضا، كما جاء أستاذنا على خليل الرائد الإذاعى وجاء أيضا موسى صبرى وحسن إمام عمر والعديد من أهل الفن والأدب وكان الحفل الأول للفرقة مشتملا على ألحان عبد الوهاب، الكرنك، وكليوباترا وطائفة أخرى من ألحانه ولن أنسى الاستحسان الكبير الذى قوبلت به الحفلة وكيف أشاد الجميع بها وبفكرتها وكان الراحل أحمد فؤاد حسن حريصا على أن تكون الفرقة غاية فى الابهار مظهرا ومخبرا ولا أكتم أننى تلقيت تهانى عديدة بل إن جمعية الفنون والموسيقى بالإسكندرية أرسلت تطلب أن تقدم الإذاعة حفلا موسيقيا فى الإسكندرية.

وأقمنا حفلين آخرين للفرقة الموسيقية وكان الحفل الأخير قبل أن أخرج إلى المعاش بعدة أسابيع وبعد أن تركت إدارة الإذاعة انفرط عقد الفرقة الموسيقية إذ لم يستطع أحمد فؤاد حسن أن يتعامل بنفس الأسلوب الذى كان قائماً بيننا فتوقف النشاط، ولا تزال حفلات الإذاعة الموسيقية – يرصع بها التليفزيون شاشته بين حين وآخر عندما يقدم مقطوعة موسيقية يملأ بها وقته بين فقرة وأخرى من فقرات برامجه، حقا لقد كانت ليالى جميلة أثبتت الإذاعة من خلالها أنه يمكن لها أن تكون منافسا على الساحة الإعلامية مع المنافسين الآخرين من شاشات البث الأرضى والفضائى على حد سواء.

❑❑❑

الفصل العشرون

المعاش .. وبعد المعاش !!

كانت مفاجأة لى أن يتصل بى نفر من أبناء عائلتى فى مطالع عام ١٩٨٧ يستحثوننى على أن أقبل ترشيحهم إياى كممثل للعائلة فى انتخابات مجلس الشعب التى ستجرى فى إبريل فى ذلك العام وقالوا لى إنهم سيكونون وفداً كبيراً من أفراد العائلة ليذهبوا إلى محافظ الإقليم وإلى أمين الحزب الوطنى فى مدينة قنا مؤكدين لهما رغبة العائلة فى أن أكون من بين أعضاء قائمة الحزب بدلاً من ابن عمى الذى شغل الموقع على مدى دورتين برلمانيتين سابقتين بل إن ابن عمى هذا. هكذا قالوا لى وهو ما حدث بالفعل – سيكون فى مقدمة الوفد المتجه إلى قنا لإبداء هذه الرغبة فقد كان إجماعهم على شخصى بغير حدود.

وأذكر أننى أرهصت برغبة أبناء العائلة للراحل الأستاذ ثروت أباظة لإقرار هذه الرغبة، وحدث ما حدث وأعلن الحزب الوطنى عن قوائم مرشحيه وكنت من بين أعضاء القائمة عن دائرة نجع حمادى، ولكننى عندما أطلعت على القائمة أصبت بما يشبه الصدمة فقد وجدت اسمى رابعاً فى ترتيب الأعضاء وتساءلت بينى وبين نفسى كيف يحدث ذلك وأنا رئيس إذاعات مصر والدائرة جميعها تعرفنى بالإضافة إلى أن عائلتى تنتشر فى العديد من قرى الدائرة ولما أبديت دهشتى لمسئول فى الحزب قال وهو يضحك «يا عزيزى إحنا حطناك رابعاً لكى نضمن على الأقل أن هناك أربعة من القائمة سينجحون وأردف يقول بل إننا نعتمد عليك وعلى شعبيتك لكى تدفع بمن هم بعدك فى القائمة لكى يفوزوا أيضاً».

وهنا تعلمت واحداً من دروس السياسة فبالرغم من أننى كنت الوحيد من بين أعضاء القائمة الذى يحمل شهادة جامعية والوحيد الذى يشغل منصباً إعلامياً مرموقاً وعائلتى لها تاريخها الطويل فى العمل السياسى حيث كان لها ممثل ولا يزال بدءاً من مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ وحتى الآن إلا أن ذلك لم يشفع لى فى أن أكون فى صدارة القائمة بمقولة إن من جاءوا قبلى فى الترتيب لهم سابقة العمل الحزبى وأن لهم سابقة تمثيلهم للدائرة فى مجلس الشعب وأننى جديد فى هذا المجال. ثم أولا وأخيرا فإن الحزب رأى رأيا ولا داعى للتعقيب على هذا الرأى وأنه يجب الالتزام بما يراه الحزب وأقول إن سبعة أعضاء من الثمانية الذين جاءوا فى القائمة نجحوا ولم يخسر الحزب إلا مقعداً واحداً فاز به ممثل حزب الوفد، وهكذا أصبحت نائباً فى البرلمان وهو الموقع الذى ظللت أحتله على مدى ثلاثة عشر عاما بدءا من سنة ١٩٨٧ إلى ٢٠٠٠ وأزعم أننى منذ الوهلة الأولى لاحتلالى موقع النائب

فى مجلس الشـعب لم أهدأ ولم أتوانَ فى خدمة الدائرة وكنت دائماً ألبى ما يطلبه المواطنون وإن كانت أغلب الطلبات تدخل فى دائرة المستحيل وبالطبع كنت أعجز عن تنفيذ ما هو مستحيل وكنت أحرص علـى أن أقول لصاحب الطلـب إن طلبه هذا لا يمكن أن يتحقق وكان الكثيرون يقولون لى: إن ما أقوله لا يدخل فى مجال السياسة وأنه ما على إلا أن أقول حاضر، وأذكر فى هذه المناسبة أننى جلست مرة فـى مكتب أحد السـادة الوزراء – يرحمه الله – وكان رجلاً خفيـف الظل وقال لى هل تريد أن تنجح سياسـياً فقلـت له وما المانع فقال إذن عليك أن تتبـع نصيحتى وكان هو أيضاً نائباً فى المجلس فقلت له وما هى النصيحة فقال عليك أن تكون مراوغاً فسـألته وكيف تكون المراوغة فقال عندما يعطيك أحد طلبا ما وتكتشـف أنه طلب يدخل تنفيذه فى دائرة المسـتحيل فقل له على العين والرأس وإننى سأتقدم بالطلب للسيد الوزير لأخذ موافقته واستطرد يقول وعندما يلتقيك صاحب الطلب قل له إن الوزير أشار بدراسة الطلب لوكيل الوزارة المختص ثم إن وكيل الوزارة المختص أحال الطلب إلى اللجنة المختصة وفى المرة التالية تقول لصاحب الطلب إن اللجنة قالت رأيها ورفعته للسيد الوكيل وفى المرة التالية تقول إن الوكيـل رفـع الطلب للوزير وبعد ذلك تقول إن الطلب لا يزال فى مكتب الوزير ثم تقول فى المرة التالية إن الوزير سـافر إلى اسـتراليا وعند عودته سـيبت فى الطلب ثم استطرد يقول وإذا كان صاحب الطلب لا يزال يلح فى معرفة ما تم فى طلبه فقل له مش الوزير مات وعليك أن تكتب طلباً جديداً لعرضه على الوزير الجديد، وقال لى الوزير أيضاً إنك إذا صارحت صاحب الطلب بأن طلبه يستحيل تنفيذه سيقولون عنك أنك غير قادر على الخدمة العامة.

شعبية كبيرة..

وكان ما يحيرنى أننى لو أخرجت مواطناً قبضت عليه المباحث من مركز الشرطة لشبهة فى أمر من الأمور أو انهيت مشكلة بين طرفين وصلا بسببها إلى مركز الشرطة وعاد إلى قريتهما دون أن يبيتا ليلهما فى المركز أو إذا جئت بموافقة مدير الأمن على رخصة حمل سلاح نارى أو أعدت بندقية لصاحبها بعد أن أخذتها منه المباحث وأبقتها فى خزينة السلاح انتظاراً لتجديد الرخصة، إذا قمت بذلك فإن شعبيتى تتضاعف فى المنطقة أكثر بكثير فيما لو استطعت أن آتى بموافقة على إنشاء وحدة صحية أو شق طريق أو إنارة نجع من النجوع أذكر مرة أن جاءنى مواطن يطلب منى إنهاء إجراءات رخصة بندقيته وكانت علاقتى به طيبة فأردت أن أسبر غوره وأتعرف على مدى اهتمامه بالخدمات العامة فقلت له «إننى أجد غضاضة فى أن أذهب لضابط المباحث فى أمر رخصة بندقية فى حين أننى لا أجد حرجاً فى أن أبذل جهدى من أجل إنشاء وحدة مياه شرب نقية فإذا به يقول أنا مبيهمنيش الميه تكون نقية ولا غير نقية طول عمرنا بنشرب من البحر أنا عاوز رخصة بندقيتى!!».

أذكر مرة ونحن على مشارف الانتخابات الفردية سنة ١٩٩٠ بعد أن حكمت الدستورية العليا بعدم دسـتورية انتخابات القوائـم أن ضابط مباحث المركز قام بتفتيش أحد المنازل بحثاً عن سـلاح وتجاوز

الضابط حدود عمله فأهان السيدات اللاتى كن نائمات ساعة التفتيش عندما دخل عليهن فى حجرة النوم وأفزعهن وقال لهن كلاماً مهيناً ثم قام بالتفتيش ولم يجد شيئاً وشكت لى السيدات عن الإهانة التى لحقت بهن ورفعت الأمر إلى السيد وزير الداخلية الراحل عبد الحليم موسى فأرسل مفتشاً من مفتشى وزارة الداخلية الذى حقق فى الأمر واستطاع أن يستخلص من أقوال المخبرين السريين المصاحبين للضابط ما يفيد تهجم الضابط على السيدات وتغليظ القول لهن فما كان من السيد الوزير بعد رفع التقرير إلى سيادته من إدارة التفتيش إلا أن أمر بنقل الضابط من المباحث ليعمل فى شرطة النجدة بمديرية الأمن بقنا، وعندما نقل الضابط كان نقله أشبه بقنبلة شديدة الانفجار حيث انتشرت مقولة فى أرجاء الدائرة تقول بأننى نقلت ضابط المباحث الأمر الذى جعل الجميع يشيرون لى بأصابع الإعجاب.

وحدث أن فزت فى الانتخابات بالتزكية حيث لم يتقدم أحد من المنافسين فإذا بالإشاعة تقول إن الجميع أحجم عن المنافسة لأننى قوى جداً ومن عناصر قوتى أننى نقلت ضابط المباحث!! ومن الأمور التى تثير العجب أننى إذا ما ساعدنى المولى عز وجل وجئت بفرصة عمل لأحد المواطنين فإن الكثيرين يغضبون «واشمعنى وظفت فلان وموظفتنيش» حتى إن أحد أصدقائى فى الدائرة قال لى لماذا تتعب نفسك عليك أن تبتعد عن البحث عن فرص عمل لأنك لن تستطيع أن ترضى كل الناس، وصاحب الحاجة لا يشبع. أذكر أننى جئت بفرصة عمل لخريج كلية تجارة فى إحدى الشركات حيث عمل بها محاسباً وكانت الشركة تبنى شققاً سكنية لموظفيها بالتقسيط المريح فطلب منى أن أتوسط له فى أن يأخذ شقه من الشقق وكان أن أخذ الشقة ثم إنه كان لهذه الشركة فرع فى نجع حمادى فطلب منى أن ينقل إلى نجع حمادى فرجوت المسئولين عن الشركة فى ذلك الأمر ونقل بالفعل إلى فرع الشركة فى نجع حمادى، وجاءنى والده يطلب أن تخصص الشركة شقة لابنه فى مساكنها بنجع حمادى فطلبت من المسئولين أن يخصصوا له شقة فى نجع حمادى فقالوا لى إنه ليس لديهم مانع بشرط أن يتنازل عن شقته فى القاهرة ولما قلت لوالده عن شرط الشركة خرج غاضباً وقال للناس إن النائب إذا لم يأت بشقة لابنى فى نجع حمادى فإنه لن يكون قد قدم خدمة لنا ونسى حكاية تعيين ابنه فى الشركة ونسى حكاية شقة القاهرة ونسى حكاية نقل ابنه ليكون فى حضنه فى نجع حمادى.

المعاش!!..

وسارت الأمور على خير ما يرام فى الإذاعة إلى أن حان وقت الخروج إلى المعاش لبلوغى السن القانونية ولن أنسى كلمات جميلة كتبها الأصدقاء من رجال الصحافة وكأنهم يقولون خسارة أن يترك فهمى عمر مبنى ماسبيرو وأذكر فى هذا الصدد مقالاً للعزيز الراحل موسى صبرى كتبه فى آخر ساعة يتحدث فيه عن جهدى خلال سنوات رئاستى للإذاعة وكيف أنها كانت سنوات من العطاء والإنجاز والتوهج فى الأداء حتى قال البعض: إن ما كتبه موسى صبرى وغيره من رجال الصحافة فيه تحريض من أجل أن يبقى فهمى عمر سنة أو سنتين أخريين رئيساً للإذاعة الأمر الذى حدا بالبعض ممن كانوا

مرشحين لاحتلال الموقع إلى مقابلة الأستاذ موسى معاتباً إياه على ما كتب هكذا قال لى الأستاذ موسى صبرى والله على ما أقول شهيد، وجاءت اللحظة التى سأترك فيها العمل كرئيس للإذاعة، والتى تحددت بيوم الخامس من مارس سنة ١٩٨٨، وكانت المفاجأة السارة الجميلة التى كان لها وقع طيب فى نفسى هو ذلك الحفل الشائق الذى أقامه لى الزملاء وهو الحفل الذى أزعم أنه لم يقم حفل مثله من قبل ولا من بعد لأحد من رؤساء الإذاعة، ففى الثالث من مارس من تلك السنة ومنذ الساعة الحادية عشرة صباحاً تجمع العشرات والعشرات من أبناء الإذاعة وبناتها فى كافتيريا الإذاعة بالدور العاشر بمبنى ماسبيرو ولم أكن ألم بتفاصيل الحفل وفقراته ومدعويه، كنت أحسب أنه مجرد حفل تقيمه مجموعة من الزملاء يقولون فيه بعض الكلمات النمطية التى تقام فى مثل هذه المناسبات، لم أكن أعلم أنه على مدى عدة أسابيع سبقت موعد الحفل كانت الاجتماعات تعقد على مستوى الشبكات وكل شبكة تريد أن تحتفل بى بمفردها ولم أكن أدرى أنه استقر الرأى على أن يقام حفل موحد يلتئم فيه شمل الشبكات جميعاً التى تسابق أبناؤها فى التبرع لإقامة حفل باذخ شائق، وجاؤا «بباند موسيقى» وزينوا مكان الحفل بالبالونات وعقود الزهور بل وزرعوا المكان بباقات الورد ولم أعلم أنهم اشتروا لى عشرة جنيهات ذهبية لتكون هديتهم لى بمناسبة انتهاء عملى إضافة إلى ساعة حائط جميلة وطاقم أقلام بل إن شبكة الشباب والرياضة رأت علاوة على ما دفعه أبناؤها للحفل الكبير أن يحضروا لى طقم زراير ذهب، ودعا الزملاء وزير الإعلام ورئيس الاتحاد ورؤساء القطاعات وعدداً من النقاد الصحفيين وتعاقدوا مع مصور فيديو لتسجيل فقرات الحفل، وقامت الزميلة الكريمة ليلى الكردانى رئيس الشبكة الثقافية باهدائى لوحة مكتوب عليها كلمات رقيقة وموقعة عن كل رؤساء الإدارات التابعة للشبكة، وكانت فرحتى مضاعفة عندما رأيت فى الحفل زميلاتى العزيزات عواطف البدرى وفوزية المولد ومديحة نجيب يحضرن الحفل وكن قد خرجن إلى المعاش أما الزميلة العزيزة آمال يوسف الرئيسة السابقة لشبكة الأخبار المركزية فقد اجهشت بالبكاء وهى تحتضننى على رغم أنها كانت قد تركت العمل قبل عام وعندما التف الجميع حول موائد الحفل والذى بلغ عددهم اكثر من مائتين من الزملاء والزميلات حيث عزفت الموسيقى أغانى عيد الميلاد وغنى الجميع عيد ميلاد سعيد لك يا فهمى، وأخذ الباند الموسيقى يعزف ألحانه والجميع يتبادلون الشاى والجاتوه ثم قمت مع وزير الإعلام ورئيس الاتحاد بتقطيع التورتة الضخمة التى كتبت عليها كل عام وأنت بخير يا رئيسنا الإذاعى فهمى عمر، وتناوب وزير الإعلام ورئيس الاتحاد ومجموعة من رؤساء القطاعات ورؤساء الشبكات إلقاء كلماتهم التى عبرت عن حبهم لشخصى، وألقيت فى النهاية كلمة أشدت فيها بالإذاعة وأبنائها ورجوتهم جميعاً أن يعملوا غاية جهدهم من أجل أن تظل راية الإذاعة المصرية عالية خفاقة وأن يكون همهم الأول والأخير هو تقديم برامج إذاعية ترضى الجماهير ويكون هدفها التنمية الشاملة للوطن والمواطن وانتهى الحفل وسط عناق وقبلات طبعها الجميع على وجهى حيث لم أتمالك نفسى فانهمرت دموعى من عينى.

التفرغ للعمل السياسى ..

تفرغت للعمل العام تماما بعد انتهاء عملى الرسمى كرئيس للإذاعة وأخذت أجوب أنحاء الدائرة الانتخابية لأتعرف إلى احتياجات القرى والنجوع فتبين لى ضآلة الإمكانات المتاحة لهذه القرى فالعديد منها لم تدخله الكهرباء ناهيكم عن المياه النقية، والعديد منها ينقصه الطرق المعبدة والوحدات الصحية، أما ما يسمى بمراكز الشباب فهو فى الأغلب عبارة عن حجرة فى دوار العمدة أو شيخ البلد وليس فيه من معالم مركز الشباب إلا اللافتة المعلقة على باب الحجرة أما التليفونات فالكثير من القرى يخلو منها وإذا وجدت فى قرية فإنها تليفونات يتم الاتصال فيها بالسويتش عن طريق «المنافلة»، ثم هناك نقص فى المدارس خاصة فى النجوع التى بها كثافة سكانية والتى يتجشم أبناؤها من صغار التلاميذ عناء المشى لمسافة طويلة ليصلوا إلى المدرسة فى القرية الأم.

وكثفت من جهودى أملا فى تحقيق المزيد من الإمكانيات التى تجعل الحياة فى قرى الدائرة أكثر سهولة، وأقرر أن كثيرا من رجالات هذه القرى تعاونوا معى فى توفير هذه الإمكانات خاصة فيما يتعلق بتبرعهم بمساحة الأرض التى تقام عليها المدرسة أو الوحدة الصحية أو مركز الشباب، وأزعم أننى وجدت قبولا لدى السادة الوزراء المعنيين بالخدمات فكانوا عونا لى فى تحقيق بعض المطالب التى رجوتهم فيها وأخص بالذكر السيد الوزير ماهر أباظة وزير الكهرباء الذى سهل لى مهمة إدخال الكهرباء إلى العديد من النجوع التى كانت محرومة من التيار الكهربائى ولا أنسى فضل الوزير حسب الله الكفراوى الذى أمر برصف الطريق من نجع حمادى شمالا إلى المراشدة جنوبا على طول مسافة تبلغ نحو ٣٥ كيلو مترا على الشاطئ الغربى للنيل على رغم أن هذا الطريق يتبع المحافظة فهى التى تتكفل بإعادة رصفه ولكن الرجل وافق على الرصف من ميزانية الوزارة.

ولا أريد أن أزكى نفسى ولكننى أسرد الواقع وأذكر ما حدث بالفعل واذكر أننى دخلت قرية حمرة دوم فى بطن الجبل الشرقى المعروف بجبل «حمرة دوم» فوجدت القرية والقرية المجاورة لها وكأنهما لم يبتعدا كثيرا عن زمن مضى منذ عشرات السنين لا طرق ولا وحدات صحية ولا إنارة كافية وبالطبع لا تليفونات ولا مياه شرب نقية وأرد الفضل لأصحابه فأقول إن المحافظ يحيى البهنساوى الذى كان محافظ الإقليم فى تلك السنوات من النصف الأول من تسعينات القرن الماضى أذكر اننى عندما أرهصت له بما تحتاجه هاتان القريتان قال لى إنه على استعداد لزيارتهما والوقوف على احتياجاتهما خاصة وأن قرية «حمرة دوم» كانت ولا تزال – بها معارك وثأر بين العائلات وأقمنا فى القرية سرادقا لاستقبال المحافظ احتشد فيها المئات من أهل المنطقة حيث عقدنا الصلح بين العائلات وتفضل المحافظ مشكوراً برصد الميزانيات لإقامة مركز للشباب وترميم المسجد ونقطة الشرطة وإنشاء الوحدة الصحية وتعمير الطريق الموصل بين القرية وطريق مصر/ أسوان الرئيسى.

أما القرية الأخرى وهى «قرية عزبة البوصة» فكانت خالية تماما من الخدمات وما يوجد بها من مرافق فهو فى حالة سيئة وكانت هذه القرية يفصلها عن الطريق الرئيسى ترعة وكان أهلوها يعبرون

الترعة على معدية عبارة عن مجموعة من البراميل مربوطة بالحبال ويعتليها الناس ويشدون حبلاً يربط بين الضفتين، وتمكنت بعون الله من إنشاء كوبرى على الترعة ورصفنا الطريق من الترعة إلى آخر حدود البلدة، كما تم إنشاء وحدة صحية ومركز شباب نموذجى ومدرسة إعدادية وتمت إضاءة القرية بكل شوارعها وحاراتها وكذلك ضمت وزارة الأوقاف المسجد بعد ترميمه ولا أريد أن أعدد ما قمت به فى بقية القرى فالمرافق التى أنشئت بها تشهد على ما أقول وكان همى الأكبر أن يشرب الناس فى دائرتى الانتخابية المياه النقية وظللت أكافح من أجل توفير كوب ماء نقى لكل مواطن حتى إن الراحل عاطف صدقى رئيس الوزراء أطلق على لقب نائب الماء النقى.

المياه النقية ..

ولم يهدأ لى بال إلا بعد أن قامت المحافظة ووزارة الإسكان بإنشاء وحدات المياه النقية فى كل قرى الدائرة وأذكر فى هذه المناسبة أن وزارة الإسكان أقامت محطة مياه ضخمة جنوب نجع حمادى عند مشارف قرية «هو» وفى سنة ١٩٩٤ جاء المهندس صلاح حسب الله وهو إنسان غاية فى الأدب والأخلاق الكريمة وهو صديق عزيز عرفته منذ مطالع الستينيات عندما كان مسئولا بالمقاولون العرب التى أصبح رئيسها فيما بعد وكانت له اهتماماته بالنادى الإسماعيلى ونادى المقاولون العرب وكنت أنا مهتما بالشأن الرياضى بحكم تقديمى للبرامج الرياضية بالإذاعة المهم أن السيد الوزير وصل إلى موقع العمل وفى صحبته السيد يحيى البهنساوى محافظ قنا وكنت على رأس المستقبلين مع القائمين على تنفيذ المحطة من مهندسى الشركة القائمة بالتنفيذ وجلسنا نستمع إلى شرح مهندس التنفيذ الذى أمسك بعصا صغيرة يشرح للحاضرين المشروع الكبير وعدد لترات المياه التى سيضخها فى الثانية مشيراً إلى أن المياه المتدفقة من المحطة ستسير قرابة عشرين كيلو مترا إلى الشمال لتغذى قرى بهجورة ومركز فرشوط وما يجاورهما من قرى وهنا انتفضت واقفا طالبا من المهندس أن يتوقف عن شرحه سائلا إياه لماذا لا تتجه مياه المحطة جنوبا لتغذى القرى المجاورة لها وكيف تنشئ محطة مياه ضخمة فى الدائرة التى أشرف بتمثيلها فى مجلس الشعب لا تغذى قرى الدائرة بل ستغذى مدن وقرى الدائرة الأخرى التى تقع فى الشمال من دائرتى الانتخابية وتكهرب الموقف ووجدتنى أكاد أخرج عن المعروف عنى من هدوء عندما قال المهندس إن المحطة أنشئت لهذا الغرض حيث إن مدن بهجورة وفرشوط محرومة من المياه النقية وإن المحطة ستغذى القرى المحيطة بها عندما ترصد له ميزانيات أخرى من أجل مضاعفة قوة تدفق المياه منها.

ونظرت إلى السيد الوزير والسيد المحافظ مستنكرا هذا الرد وعازما على أن أثير الموضوع فى مجلس الشعب مبينا عدم معقولية القرار الذى يقضى بتغذية قرى ومدن تبعد بأكثر من عشرين كيلو مترا عن مكان المحطة فى حين تحرم القرى التى لا تبعد عنها إلا بضعة كيلو مترات قليلة وهنا كان قرار الوزير صلاح حسب الله الذى أحييه عليه الآن للمرة المائة لأننى كلما التقيته أحييه وأشكره على قراره الذى

قضى بأن تمتد خطوط التغذية جنوبا لتغذى أكثر من سبع قرى كما أنها لابد أن تغذى قرية «هو» التى بنيت المحطة فى تخومها وكذلك القرى المجاورة لها وكان ما كان وأصبحت قرى الدائرة على الشاطئ الغربى للنيل تشرب مياها نقية أما ما يتعلق بقرى الدائرة على الشاطئ الشرقى للنيل فقد تكرم أيضا المهندس صلاح حسب الله ورصد الميزانيات التى أسهمت فى إنشاء وحدات ترشيح تضخ المياه النقية لكل القرى فى شرق النيل.

ومع ذلك ويبدو أنه من أجل ذلك ومن أجل الشعبية التى اكتسبتها بفضل الله بين المواطنين كان الحقد وكانت القلوب المتحجرة التى لا تعرف إلا السواد فكانت الأحداث التى أودت بحياة شابين فى عمر الزهور دون أى ذنب ارتكباه واغتالتهما يد الإثم والعدوان هما ابنى المهندس عمر وابن شقيقى المحاسب عمر حيث ارتحل العمران فى لحظة واحدة وفى حادث أدمى الفؤاد وأبكى العين ولن أنسى أيضا ما كانت عليه قرى الدائرة من حاجة ماسة إلى الاتصالات التليفونية فقد كانت هذه الاتصالات عسيرة وشاقة إذ كان يتدخل عامل السنترال لكى يقوم بعملية التوصيل بين قرية وأخرى أو بين القرية والبندر ثم تطور الأمر من التليفون الذى يدار «بالمنافلة» إلى تليفون ب.ب.اكس بحيث تدير رقما معينا فيرد عليك عامل السويتش ليصلك بالتليفون الذى تريده فى قرية أخرى فى المدينة وحدث تطور بعد ذلك بحيث أمكن أن يتصل الإنسان بالمدينة مباشرة ولكن لا يمكنه أن يتخطى حدود المركز إلا عن طريق عامل السنترال إضافة إلى ذلك كان من المتعذر أن يطلب المواطن تركيب تليفون فى منزله فيتم التركيب فى شهر أو شهرين أو حتى ستة أشهر، وفى منتصف التسعينات تحسن الحال بالنسبة لسنترالات المدن حيث أصبحت سنترالات آلية يمكن للمواطن من خلالها أن يتحدث مع المحافظات الأخرى بسهولة ولكن الأمر كان متعذرا بالنسبة للقرى .

القرى الأم ..

وكان فى دائرتى ثلاث قرى تسمى بالقرى «الأم» حيث هى مقر الوحدة المحلية والتى يوجد بها السنترال الذى يخدم القرى التابعة لكل وحدة منها، وفى أحد الأيام توجهت لمقابلة وزير المواصلات الرجل الفاضل المهندس سليمان متولى وفى مكتبه أخرجت من جيبى طلبا أرجوه فيه أن يحقق لى أمنية أن تكون هناك سنترالات اليكترونية فى القرى الأم الثلاث فى دائرتى الانتخابية وقرأ الرجل الطلب وابتسم ابتسامة خفيفة وقال لى يا فلان هذه السنترالات لم تركب بعد فى عشرات المدن فكيف تطلب تركيبها فى القرى فقلت له إن تركيب هذه السنترالات فى القرى التى يتضمنها الطلب سيكون مؤشرا على اهتمام الدولة بالقرى وأن الخطة تسير فى اتجاهين اتجاه يؤدى إلى تركيب هذه السنترالات فى المدن واتجاه يؤدى إلى تركيبها فى القرى، ثم استطردت أقول إن تركيب هذه السنترالات فى ثلاث من قرى الصعيد سيعطى الدلالة على أن الدولة تهتم فعلا بالصعيد وقلت كلاما كثيرا أدافع به عن طلبى وكم كان الرجل كريما عندما أشر بتركيب سنترال اليكترونى فى قرية الرئيسية على الفور وتركيب

السنترالين الآخرين فى مدة أقصاها ستة أشهر وعندما توجهت بتأشيرة الوزير للصديق العزيز المهندس رئيس هيئة الاتصالات محمد سليم الذى رحل عن دنيانا وهو فى أوج توهجه وعطائه بعد نضال مرير مع المرض وعندما قرأ تأشيرة الوزير أصيب بحالة من الدهشة قائلا إن أحدا من قبل لم يحصل على مثل هذه التأشيرة وإن قريتك ستكون أول قرية فى محافظة قنا يدخل إليها مثل هذا السنترال.

وأذكر المهندس محمد سليم بالخير فالرجل أعطى التعليمات الفورية بالتنفيذ، واستدعى الأمر بقاء فرقة التليفونات أكثر من شهر بالقرية لأن الأمر كان يتطلب مد خطوط أرضية تصل ما بين السنترال وبين الكابل الرئيسى الذى يمتد بين محافظات الجمهورية واصلا بعضها بالبعض الآخر حتى يمكن إجراء عملية الاتصال بمجرد إدارة قرص التليفون على الرقم الكودى لكل محافظة. وبعد عدة أسابيع كان السنترال الالكترونى فى إحدى قرى محافظة قنا قد تم الانتهاء من إنشائه وأصبح أبناء هذه القرية والقرى التابعة يتحدثون من تليفوناتهم فى يسر وسهولة مع كل محافظات مصر وبدلا من خمسمائة مشترك فى السنترال القديم تضاعف عدد المشتركين شهرا بعد شهر حتى أصبح العدد الآن أكثر من أربعة آلاف مشترك، ونفس الحال بالنسبة للسنترالين الآخرين وكان تركيب هذه السنترالات أشبه بالقنبلة التى دوت فى أنحاء مركز نجع حمادى.

❑❑❑

الفصل الحادى والعشرون

كوم خراب أصبح كوم عمار

ولن أنسى يوما من أيام شتاء سنة ١٩٩٢ عندما قام السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بزيارة مصنع الألمونيوم فى نجع حمادى، فالمصنع مقام فى قلب الدائرة الانتخابية التى كنت أشرف بتمثيلها فى مجلس الشعب، وعندما هبطت الهليوكوبتر التى كانت تقل سيادته كنت أنا وزميلى النائب الآخر فقط فى شرف الاستقبال. وشاء لى حظى أن أكون مرافقا لسيادته فى كل جولته فى المصنع والتى استمرت قرابة ثلاث ساعات، طاف خلالها السيد الرئيس بكل مناحى المصنع متفقدا عنابر تصنيع الألومنيوم ومرافق الحياة الاجتماعية والرياضية المتوفرة لأكثر من عشرة آلاف مواطن يسكنون المدينة السكنية التى تقع على مقربة من المصنع الكبير. واستقبلت الجماهير الغفيرة السيد الرئيس بالترحاب الشديد وهتفت له على طول المسافة التى قطعها سائرا على قدميه واستمع سيادته إلى كثير من المواطنين سائلا إياهم عن أحوال معيشتهم وعن حياتهم وما توفره لهم شركة الألومنيوم من خدمات وإمكانيات معيشية.

ولعلى فى هذه المناسبة أذكر شيئا عن مصنع الألومنيوم الذى غير وجه الحياة فى تلك المنطقة النائية من صعيد مصر، هذا المصنع الكبير أقيم فى المنطقة الصحراوية التى تقع على بعد عدة كيلو مترات من شاطئ النيل الغربى جنوب نجع حمادى فيما يعرف بصحراء قرية «هو» وهى قرية ذات تاريخ يمتد إلى العصور الفرعونية ولا يزال بها بعض الأحجار التى تعود إلى عصور سحيقة، إضافة إلى ما شهدته من تألق فى العصور الإسلامية، حيث يوجد بها مسجد يعود إلى أكثر من ثمانمائة عام أو يزيد ولا يزال المجلس الأعلى للآثار يقوم ببعض الحفريات فى القرية بحثا عن آثار مدفونة فيها، وكانت صحراء «هو» حيث يوجد على أطرافها جبانة الموتى تعرف عندنا ونحن صغار فى السن باسمها الذى تواتر على الألسنة وهو صحراء «كوم خراب» وكان الواحد منا ونحن صغار يتفاخر بأن أباه أو عمه اجتاز هذه الصحراء، وكنا نتحدى بعضنا قائلين «الراجل فيكم اللى يروح كوم خراب» باعتبار أن من يجتاز المنطقة يعتبر كامل الرجولة متين القلب، وكانت تتواتر على الألسنة أيضا مقولة أشبه بالأسطورة وهى أنه فى كوم خراب توجد « لقية أى كنز كبير جدا وأن هذه «اللقية» من الكبر والضخامة لدرجة أن الأعرج سيكون له نصيب فيها، وتمر الأيام والسنون وإذا بالأسطورة تصبح حقيقة واقعة فها هى ذى الدولة وفى منطقة كان لا يستطيع أحد من الناس أن يمشى فيها لأنها كانت يبابا وصحراء قاحلة مليئة بالعقارب والأفاعى، وكانت أيضا مأوى لقطاع الطرق واللصوص، ها هى ذى الدولة تقيم فيها صرحا صناعيا عالى

القيمة شديد الروعة وعلى مساحة أكثر من خمسة آلاف فدان من الرمال القاحلة. مصنع الألومنيوم الذى كان بردا وسلاما على مجتمع قرى نجع حمادى، ذلك أن الأمر تجاوز بناء المصنع إلى شق الطرق وإقامة طريق رئيسى ما بين المصنع ومدينة قنا، الأمر الذى استلزم إنشاء كوبرى قنا على النيل .

وكان لزاما أن يعيش العمال إلى جوار المصنع، فأقيمت المدينة السكنية التى يعيش فيها آلاف الأسر حيث توفرت المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والمستشفى التى يعمل فيه أطباء متخصصون، بالإضافة إلى زيارات دورية من أساتذة الطب من جامعات أسيوط والقاهرة وجنوب الوادى، ثم هناك النادى الذى تتسع مدرجاته لنحو عشرة آلاف متفرج وحمامات السباحة والصالات المغطاة ومضمار الجرى ودور السينما والحدائق الغناء ومياه الشرب والإنارة التى تضئ الشوارع المرصوفة، والمزرعة التى تنتج اللحوم والألبان وتباع للعاملين بأسعار التكلفة، وهناك الفندق ذو أربعة النجوم وغير ذلك من المرافق التى حولت المنطقة من صحراء قاحلة إلى جنة نعيم.

ولعل الفضل فى إقامة هذا المصنع يرجع إلى السد العالى ذلك أن كهرباء السد تخرج من منبعها وهى ذات قوة ضخمة، وأول محطة محولات تستقبل هذا الكم الرهيب من كهرباء السد هى محطة محولات نجع حمادى التى تقع فى منطقة المصنع، ومن هذه المحطة يتحول التيار الكبير إلى تيارات أخرى أقل قوة تدير المصانع وتنير القرى والنجوع، لقد كانت فكرة سديدة أدخلت الحضارة والتقدم لمنطقة «هو» ونجع حمادى وتخيلوا معى مصنعا يشع بالخير على آلاف الأسر ويقدم التعليم لأبناء المنطقة ويستطيع أى مواطن أن يشترى ما يريد من سوق المصنع الذى يبيع المواد الغذائية والألبان واللحوم بسعر التكلفة ويذكر فى هذا السياق بكل الخير الرجل الذى وضع اللبنة الأولى فى المصنع المهندس يوسف إسماعيل – رحمة الله عليه – لقد جاء الرجل فى مطالع السبعينيات من القرن الماضى كأول رئيس مفوض لشركة الألومنيوم وكان معه مجموعة من المهندسين الرواد عاشوا فى خيام واكشاك خشبية فى الصحراء.

واذكر عندما ذهبت لتسجيل ريبورتاج إذاعى عن المصنع سنة ١٩٧٢ أنى توجهت إلى موقع العمل سائراً على قدمى فوق رمل الصحراء وسائلا عن المهندس المفوض للمشروع، وقادنى أحد العاملين إلى حيث يوجد السيد المفوض، فإذا بى أجده فى أسفل بئر حفروه ليستخرجوا منه المياه لأن عملية توصيل مياه النيل إلى المشروع لم تكن قد بدأت بعد، كان الرجل قد وضع نفسه فى «قفة» يودنين وكل ودن مربوطة بحبل والحبل فى أيدى رجلين مفتولى السواعد وأخذ ينزل رويدا رويدا حتى وصل إلى القاع ليغترف من المياه ويتذوق طعمها ولما خرج الرجل من «قفته» سلم على ودخلنا مكتبه فى كشك خشبى وأجريت معه اللقاء، وكانت للرجل فلسفته فهو الذى يعين العمال والموظفين وهو الذى يفصلهم إذا ما حدث منهم ما يكدر الصفو، وكان أبشع ما يراه فى الموظف أو العامل أن يكون مدخنا، ففى إحدى المرات رأى عاملا يدخن ففصله على الفور واستجار الرجل بالعديد من أعيان المنطقة لكى يعود إلى عمله حالفا بالأيمان المغلظة ألا يدخن مرة ثانية، ولكن دون جدوى، ولذلك كان المدخنون من العمال

والموظفين يدخلون إلى مقر أعمالهم دون علب سجائرهم التى يتركونها فى منازلهم، وجاهد الدكتور يوسف إسماعيل من أجل أن يتنامى المصنع حتى شب عن الطوق وأصبح إنتاج المصنع من الألومنيوم له «صيته» فى السوق العالمى، ويشاء قدر الرجل أن يموت فى حادث هزلى عبثى عندما سافر إلى مزرعته فى محافظة البحيرة فوجد عددا من البلطجية يضعون أيديهم على رقعة كبيرة من أرض المزرعة وحدث شقاق وخلاف وشد وجذب وعلى أثره أطلق أحد هؤلاء البلطجية النار من سلاحه النارى فأصاب الرجل فى مقتل، وعبثا حاول أطباء الإسكندرية إنقاذ حياته دون جدوى وارتحل إلى الآخره وكرمته الشركة فأطلقت اسمه على بعض مرافق المصنع مثل المدرسة الثانوية وغيرها.

وتوالى على المصنع رؤساء عظام لعل من أبرزهم الراحل طارق أحمد حسنين ابن أحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكى فى الأربعينات والذى راح ضحية حادث سيارة على كوبرى قصر النيل سنة ١٩٤٥، وكان الراحل طارق حسنين مثالا للرجل صاحب الخلق الرفيع فهو كما يقولون عنه تربية ملوك فأمه ابنة إحدى أميرات أسرة محمد على وكان الرجل جميلا فى معاملاته مع العاملين فى المصنع، فقد حقق لهم الكثير من مطالبهم وثبت موظفى اليومية ولا أدرى لماذا نقلوه من المصنع إلى شركة أخرى للمشروبات الغازية؟

ولى مع الرجل حادثة طريفة، ففى أحد الأيام قرأت مقال الزميل عبد الرحمن فهمى الذى يكتبه فى عموده اليومى بجريدة الجمهورية وتصدى يومها للكتابة عن حسنين باشا وكيف أنه كان أول مصرى يشارك فى الدورات الأوليمبية عندما سافر إلى دورة ١٩١٢ ليشارك فى منافسات سلاح الشيش على نفقته الخاصة، وكان أيامها يدرس فى جامعات انجلترا؛ ومن بين ما قاله الصديق عبد الرحمن فهمى أن حسنين باشا توفى دون أن ينجب، فاتصلت به وقلت له المعلومة الصحيحة وهى أن أحمد باشا حسنين أنجب المهندس طارق الذى شغل منصب رئيس مجلس إدارة شركة مصر للألومنيوم، فكتب عبد الرحمن فهمى مصححا الأمر وقائلا إننى أنا الذى اتصلت به بخصوص التصحيح وكنت أيامها رئيسا للإذاعة، وفى صباح اليوم الذى نشرت الجمهورية العمود الذى صحح به الأخ عبد الرحمن فهمى ما غمض عليه فى العمود الأول جاءنى صوت المهندس طارق عبر التليفون يقدم الشكر والامتنان على أننى صححت المعلومة، وقال: إنه كان قد احجم خجلا عن أن يتصل بالجمهورية ليقول إن حسنين باشا أنجب ابنا هو المهندس طارق، وإننى كفيته مشقة الاتصال.

وتذاكرنا عبر التليفون أياما جميلة كنت أزوره فيها فى مصنع الألومنيوم عندما كنت أذهب إلى قريتى فى المناسبات والأعياد، ولم تمض إلا فترة لا تعد بالطويلة حتى وافاه الأجل وهو فى كامل صحته وعنفوان قوته، ولقد كان الرجل سخيا ومساناً للمشروعات التى يقيمها الأهالى، كان يساهم فى بناء مسجد أو يعطى منحا للجمعيات الخيرية العاملة فى مجال البر إعمالا لمبدأ أن المصانع التى تقام فى منطقة مًا لابد وأن تشع خيرا وبركة على المنطقة وتنمية مجتمعها.

وكذلك فعل يوسف إسماعيل، وفعل سليمان رضا الذى تولى أمر المصنع بعد طارق حسنين، فقد كانت أيديهم غير مغلولة تجاه المشروعات التي تنمى المجتمع، ولى تجربة مع مسئول عن المصنع تولى الأمر بعد أن عين المهندس سليمان رضا وزيراً للصناعة دلت على نظرة هذا أو ذاك من المسئولين عن مفهوم العطاء من أجل خدمة المجتمع المحيط بالمصنع، فبينما كان هناك من يتفاعل مع البر والبذل فى مشروعات تنموية كان هناك من يغل يده ولا يسارع فى عمل الخيرات على رغم أن هذه المساهمة منصوص عليها فى لوائح عمل الهيئات الصناعية، ذلك أنه بعد رحيل ابنى فى حادثة الغدر إبان انتخابات سنة ١٩٩٥ رأيت مع مجموعة من الأهل والأقارب أن ننشئ معهدا دينيا فى قرية تجاور قريتى تبرع أهلها بالأرض، وأقمنا أساس المعهد وأطلقوا عليه اسم معهد الشهيد مهندس عمر فهمى عمر الدينى الأزهرى، وكان لزاما أن نطرق أبواب الكثير من الجهات للمساهمة فى إنشاء المعهد، وأشهد أن الكثيرين قدموا العون مثل وزارة الأوقاف والأزهر الشريف وشركة السكر وبنك فيصل الإسلامى. بل إن أصدقاء بلا حصر قدموا تبرعاتهم التى كانت ترسل إلى الجمعية الخيرية التى أنشئت لهذا الغرض وكان لزاما علىَّ أن أطرق باب مدير مصنع الألومنيوم لكى يسهم بنصيب فى عملية الإنشاء أسوة بما قام به من سبقوه من تبرع مادى وعينى للعديد من المعاهد الأزهرية والمساجد التى أقامها الأهالى فى القرى المجاورة للمصنع، ولكننى لمحت صدودا وقال سيادته: إن الأمور لم تعد كما كان عليه الحال عن قبل حتى إن المصنع تلاحقه الخسارة، وأفزعنى الرد فقلت: إذا كان المصنع يخسر فأحرى بالحكومة أن تغلق أبوابه، وغادرت المكان على الفور إذ لم أكن أعتقد أن يقابل طلبى بمثل هذا الفتور «والبواخة» وعندما عدت إلى القاهرة توجهت إلى مكتب الرجل الفاضل الدكتور عاطف عبيد وكان وزيرا لقطاع الأعمال الذى يتبعه المصنع وقصصت عليه ما دار بينى وبين مسئول المصنع، وقلت لسيادته إننى لم أكن أطمع فى أكثر من بضعة آلاف من الجنيهات لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، وقاطعنى قائلا: ماذا تطلب؟ فقلت له إننى أطلب أن يقام سور حول المبنى حتى يكون للمعهد كيان وشخصية، وهنا رفع الرجل سماعة التليفون طلب الاتصال برئيس المصنع وبعد دقائق تم الاتصال وأحسست أن المسئول يكاد يرتعش صوته والسيد الوزير يقول له كلاما حلوا فى حقى وأننى أقيم معهدا دينيا يستحق مساهمة المصنع وأن الأمر يتطلب إنشاء وإقامة سور حول مبنى المعهد، ويبدو أن المسئول قال فى سياق الحديث متسائلا متى يزور السيد الوزير المصنع فقال جملة لازالت ترن فى أذنى حيث قال: «أزور عندما يكتمل بناء السور»، ومرة ثانية أقول إننى فى زيارتى لرئيس المصنع وطلبى منه المساهمة فى نشر التعليم والثقافة لم أكن اطمع فى أكثر من بضعة آلاف من الجنيهات لو كان قد وافق على صرفها للجمعية الخيرية التى تشرف على عملية البناء لكنت خرجت من مكتبه ممننا وشاكرا، إلا أن المولى عز وجل لم ينطقه برد فيه خير حتى تتهيأ للمعهد فرصة بناء السور المحيط به والذى لم يكن فى الاستطاعة بناؤه لأنه يكلف أموالاً طائلة لم يكن فى مقدورى أو مقدور الأهالى التبرع بها وفى خلال ثلاثة أشهر أو أقل بعد مكالمة السيد الدكتور عاطف

عبيد كان السور قد تم انشاؤه حول المعهد حافظا للمعهد هيكله ومعطياً إياه الكيان المطلوب كمنشأة تعليمية يحميها سور مثل المنشآت التعليمية الأخرى، وهكذا تحقق على الطبيعة ما كنت أردده على مسامع الأهالى من أبناء القرية والقرى المجاورة عندما يسألوننى عن وسائلى فى بناء المعهد والذى يتكلف أكثر من ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات، فكنت أجيبهم قائلا «للمعهد رب يبنيه» واليوم وعلى مدى عشر سنوات ومن معهد ابتدائى للبنين إلى معهد كبير يتعلم فيه البنون والبنات فى كل مراحل التعليم من ابتدائى إلى إعدادى إلى القسم الثانوى الذى بدأت فيه الدراسة فى العام الدراسى ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧ وإذا أردت أن أشكر فالشكر للمولى عز وجل ولرجال فضلاء مثل فضيلة الشيخ سيد طنطاوى الإمام الأكبر ومسئول نابه يعرف معنى التنمية مثل الدكتور عاطف عبيد.

انتخابات ١٩٩٥

وأصبحت انتخابات سنة ١٩٩٥ على الأبواب، كان جميع أهالى الدائرة على يقين بأن أحداً لن ينازعنى أو ينافسنى فى الانتخابات وأن نجاحى بالتزكية مضمون إلى أقصى درجة، فهذه خدماتى ظاهرة للعيان وإنجازاتى فى توفير الإمكانات للدائرة سواء فى مجال الوحدات الصحية أم مراكز الشباب أم المدارس واضحة وضوح الشمس كان عمد الدائرة وأعيانها يقولون لى أبشر بالتزكية، كما كانوا يقولون إنه لو أن هناك من سينافسك فى الانتخابات فإنه مقضى عليه بالسقوط، ولكن أصحاب النفوس المريضة الذين أزعجهم ما حققته من إنجازات بالإضافة إلى أسبقية فوزى بالتزكية سنة ١٩٩٠ قاموا بتحريض واحد من أبناء عائلتى من قرية أخرى لكن يتقدم منافساً لى على كرسى الفئات وأذكر أن واحداً من أصحاب هذه النفوس الضعيفة كان يقول على الملأ «يعنى فهمى عمر اللى هو سنة أولى سياسة ينجح بالتزكية واحنا اللى بقالنا سنوات طويلة فى بحر السياسة ندخل معركة الإعادة» لقد كانت مكيدة مطبوخة ومصنوعة والعجيب أنه وضع لها السيناريو فى مسجد الحسين عليه السلام عندما اجتمعوا مع قريبى هذا مؤكدين مناصرتهم له هكذا قال لى واحد منهم بعد سنوات من الانتخابات وهو الآن فى رحاب مولاه بعد أن توفى وما كاد قريبى هذا يعلن عزمه على الترشح حتى أعلن أحد أضلاع المكيدة أنه سينافسنى فى المعركة وللأسف كان هذا الشخص من أخلص خلصائى وهكذا تعلمت درساً آخر من دروس السياسة وكيف أنه لا مجال فيها للصداقة أو «العيش والملح» حيث يسود مبدأ «اللى تكسب به ألعب به»، وبدأت بوادر اشتعال المعركة عندما جيشوا البلطجية وقطاع الطرق للتأثير على الناخبين وكانت تأتينى الأخبار من أن هؤلاء البلطجية يجوبون انحاء الدائرة حاملين الأسلحة النارية إضافة إلى ذلك اشتعلت آفة القبلية والعصبية، وفى هذا السياق أقول إن هذه الآفة ستظل تنخر فى بنية جنوب الصعيد وستظل تؤثر على العملية الانتخابية فى عديد الدوائر فى تلك المناطق من صعيد مصر، ولن تختفى هذه الآفة إلا إذا انقشعت غيوم الجهل وسيطر التعليم وانتشرت ألوية الثقافة.

مأساتى الانتخابية !!

ولا أريد فى السطور التالية أن أنكأ الجراح ولكننى أريد أن أعطى صورة لقلوب قاسية لا تعرف الرحمة ولا تحركها إلا المادة فهى تقتل من أجل أن تقبض المال الحرام، كان الهدف أن يتم أغتيالى حتى يخلو الجو للمنافس ليفوز فى الانتخابات وإلا ما السبب فى تلك العصابات التى كانت تجوب أنحاء الدائرة تريد أن تخرب وتقتل وتمنع الناس من الوصول إلى صناديق الانتخابات خاصة هؤلاء الذين سيصوتون لصالحى، وجاء صباح اليوم المشئوم يوم السادس من ديسمبر ١٩٩٥ وهو يوم جولة الإعادة، كان ابنى المهندس عمر قد حضر الجولة الأولى وسافر يوم ٢ ديسمبر وحذرته من المجئ قائلاً له كفاك بعداً عن عملك تلك الأيام التى أمضيتها معنا فى الجولة الأولى، وجاء شقيقه يوم الأحد وكانت المفاجأة أن جاء عمر مرة ثانية يوم الخامس من ديسمبر قائلاً لى إزاى ما أجيش؟ أمال حاحتفل بالفوز بعيداً عنك وعن أبناء عمومتى.

فى صباح يوم الانتخاب توجهت فى سيارتى ومعى واحد من أبناء عمومتى إلى بعض القرى، وفى إحدى هذه القرى إلى الجنوب من مدينة نجع حمادى بحوالى ثلاثة كيلو مترات فوجئت بطلقات نارية تأتى من زراعات القصب وكان يحرس المكان مجموعة من جنود الشرطة الذين تبادلوا إطلاق الرصاص مع من أطلقوا الرصاص مختبئين فى زراعات القصب وبعد أن سكت إطلاق النار غادرت المكان وأمام كوبرى نجع حمادى فوجئت بابنى عمر وشقيقه فى سيارة أحد ابناء العم وكانوا جميعاً متجهين إلى قرى شرق النيل فأمرتهما بالعودة إلى القرية وعدم التوجه إلى شرق النيل حيث القرى التى بها عصبية وقبلية المنافس، ابنى الأصغر لم يتجه إلى شرق النيل وعاد إلى القرية أما عمر الابن الأكبر فقد غافلنى واستمر فى طريقه مع مجموعة من أقاربه إلى شرق النيل ولم يكن معهم سلاح لأنهم لا يعرفون الإمساك بالسلاح ولم يألفوه من قبل .

والذى عرفته بعد ذلك أن القتلة المأجورين كانوا يجوبون أنحاء القرى فى شرق النيل بحثاً عنى خاصة بعد أن أدى إطلاق النار المتبادل بين الشرطة ومن فى زراعات القصب إلى وفاة واحد من هؤلاء المأجورين لقد أصبحوا مثل الكلاب المسعورة بعد أن تضاعفت رغبتهم فى القضاء على، وامتثالاً لقضاء الله وقدره وقع ما كان مقدراً أن يقع فقد عثروا على ابنى وابن شقيقى وانتزعاهما تحت التهديد وأمام جموع البشر فى إحدى الدوائر الفرعية فى قرية تواجه قرية المنافس وأمطروها بوابل من النيران دون ذنب ارتكباه.

جاءنى الخبر مخففاً فى أول الأمر عندما استوقفنى أحد أنصارى فى قرية من قرى الدائرة فى شرق النيل ليقول لى تعالى نسلك طريقاً آخر إلى مدينة نجع حمادى لأنه حصل ضرب نار من إحدى القرى وجاءت شظية فى قدم عمر وأنه بالمستشفى يتلقى العلاج، وخز قلبى وحدثتنى نفسى بأن الأمر أكبر من ذلك بكثير ولكننى أخذت أطمئن نفسى راجياً أن تكون العواقب سليمة ولكن عندما أشرفت على

مستشفى نجع حمادى وشاهدت منظر الجموع المحيطة بالمستشفى تأكد لى أن ما حدثتنى نفسى به هو الواقـع بعينه، وقالوا: إنى أصبت بأزمة فى القلب وقالوا إننى انهرت ووقعت على الأرض، ولكن هذا لم يحـدث وإن كان الألم الذى شـعرت به أكثر من أى أزمة قلبية وأكبر مـن الانهيار، ولقد أحاطتنى رحمة المولى عز وجل وألهمنى سبحانه وتعالى الصبر وملأ قلبى بالإيمان وجلست شارداً لا أتكلم والذهول يخيم على والهول يتملك كل أحاسيسـى ومشاعرى ولكن الإيمان العميق بقضاء الله وقدره وأنه سبحانه إذا شاء فعل.. هو الذى ألهمنى أن أكون على مستوى المسئولية تجاه تعاليم دينى وتجاه المجتمع الذى يعرفنى بحكم عملى الإعلامى على مدى أكثر من ثلاثين عاما وأيضا تجاه أسرتى وأهلى الذين لا يعرفون حكاية الثأر ولم يمارسوا طقوسها، حيث لا يقام العزاء للمقتول إلا بعد أن يؤخذ ثآره ممن قتله، وعلى الفور اتخذت القرار بإقامة سرادق للعزاء وبنشر النعى فى الصحف، وصباح الخميس السابع من ديسمبر سـنة ١٩٩٥ سـار موكب جنازة الفقيدين من مستشـفى نجع حمادى حتى مدافن الأسرة لمسافة حوالى عشـرين كيلو مترا كان الموكب يضم مئات السـيارات الخاصة بالمعزين الذين جاءوا من أنحاء محافظة قنا، وظل الموكب فى طريقه أكثر من ثلاث ساعات يسير الهوينا حيث كانت القرى على طول الطريق تخرج عن بكرة أبيها لتشـارك فى تعزيتى وعلى مدى ثلاثة أيام تقبلت العزاء فى السرادق الكبير الذى أقيم أمام دوار العائلة، كما ظللت بعد ذلك أربعة أيام أتلقى وفود المعزيين، ولن أنسى القلوب الرحيمة الحانية التى أحاطتنى برعايتها وحبها، ولن أنسـى مواساة الرئيس محمد حسنى مبارك التى جاءتنى عبر الهاتف والتى بث خلالها تعازيه مؤملا أن أتماسـك وأرضى بقضاء الله، وإذا كان هناك العديد من الأصدقاء قد جاءوا من القاهرة لتقديم العزاء إلا أننى لن أنسى واحدا من هؤلاء الأصدقاء ما كنت أعتب عليه لو لم يحضر إلى القرية، وكان يكفيه أن يرسـل برقية مثل الآلاف الذين أرسـلوا برقيات عزاء، بل إنه لم يكن يطوف بذهنى أن يتجشـم عناء السـفر الطويل من القاهرة إلى الأقصر بالطائرة ومن الأقصر بالسـيارة لمسـافة مائة كيلو متر لكى يصل إلى قريتى، فقد اتصل بى السيد محافظ الإقليم ليخطرنى بأن الدكتور هاشم فؤاد عميد الطب السابق ورئيس نادى الجزيرة ومعه مدير النادى اللواء سامى الرفاعى فى طريقهما إلى القرية، بعد أن وصلا إلى مطار الأقصر وأرسلت لهما المحافظة سيارة نقلهما إلى القرية ووصل الدكتور هاشـم فؤاد واللواء سـامى الرفاعى وكانت لحظة من اللحظات التى شـعرت فيها بإنسانية هذا الرجل الذى يفتقده الآن مجال الإدارة فى مؤسـة ضخمة مثل قصر العينى، كما تفتقده الإدارة الرياضية فى مؤسسة رياضية ضخمة مثل نادى الجزيرة، وعندما احتضننى غمرنى إحساس عميق بروعة الصداقة عندما تكون خالصة لوجه الله ومن أجل قيمة الصداقة نفسـها، وجاء الصديق مفيد فوزى ليسـجل معى لقاء فى برنامج حديث المدينة وجاءت أخبار اليوم لتكتب موضوعاً عن عمر نشـر على الصفحة الأولى بصـورة له يوم حفل زفافه، وكذلك جاءت مجلة الإذاعة وجـاء مندبون من الأهرام والجمهورية وكتبوا الكثير عن الحادث الجلل، وختاما لهذه المأسـاة التى مازالت تطل على بظلها الكئيب بين حين وآخر

أقول إننى عندما تقبلت العزاء الذى أقيمت مراسمه فى مسجد الحامدية الشاذلية مساء الجمعة الخامس عشر من ديسمبر أحسست بمشاعر فياضة من الحب الذى أحاطتنى به الجموع الغفيرة التى أتت لمواساتى، ولا أستطيع أن أعدد فئات الناس الذين جاءوا لتقديم واجب العزاء، فمن الوزراء إلى رؤساء الهيئات إلى رجال القضاء ورجال الشرطة ورجال الإعلام بمختلف وسائله ورجال الفن والرياضة حتى أننى ظللت واقفا أتقبل العزاء على مدى خمس ساعات.

وقال لى الشيخ متولى الشعراوى الذى كان ملازما للفراش وهاتفنى قائلا: إنك يا فهمى ارتفعت فى نظرى ونظر الناس أجمعين لأنك حقنت الدماء وعرفت حدود دينك ونسأل المولى عز وجل أن يعطيك أجر الصابرين وهو أجر لو تعلم عظيم عظيم نسيت أن أقول إننى فزت فى الانتخابات ولكنه كان نجاحا بلا طعم بل كان له طعم العلقم .

معايير العمل السياسى ..

العمل السياسى لا يخضع لمعايير المنطق بل لمعايير قد تغيب عن ذهن واحد مثلى لم يتمرس كثيرا بالعمل فى هذا المجال ويخضع أيضا للصداقات والترتيبات، ومدى شعور المسئولين عن هذه الأمور بأنه يمكن أن تكون تحت الطوع وملبيا للأوامر، مثلاً تناول أحد رجال الصحافة واحدا من المسئولين بالكثير من النقد، فاجتمع مجموعة من النواب مطالبين باتخاذ موقف حاسم تجاه الصحفى الكبير، وكان الاجتماع بالطبع بإيعاز من المسئول الكبير وكنت أنا وكيلا للجنة الثقافة والإعلام وكان لزاما علىّ أن أحضر الاجتماع وخاض الجميع أو الأغلبية الغالبة من المجتمعين فى هذا الشأن وقالوا كلاما كثيرا وكنت بين الحين والحين أراقب المسئول الكبير وهو ينظر إلى نظرات ذات مغزى معناها أن أتحدث مثل القوم، ولكنى لم أعر نظراته التفاتا فما قاله الصحفى الكبير فى مقالاته لا يخرج عن حدود النقد البناء وإذا كان هناك من رد فليكن ممن وجه إليه هذا النقد لا أن يجىء أعضاء المجلس ليشنوا حملة عليه – وبالطبع – والحمد لله – كانت معاييرى الشخصية تحتم على ألا أندفع مع المندفعين وأتقول مع المتقولين، ومن هنا تبين أننى لا يمكن أن أكون خاضعاً أو ملبيا للأوامر مثل بعض من كان معروفا بعلو صوته والذى سمعت بأذنى أحد المسئولين يقول لواحد منهم قوم «يا واد» رد وسكتهم عندما تحدث نواب المعارضة فى أمر من الأمور.

وجلسات مجلس الشعب لا تخلو من طرافة حيث يكثر الحديث بين مجموعات من الأعضاء كل ثلاثة أو أربعة يضعون رؤوسهم فى رؤوس بعض وهات يا كلام وهات تقليب فى سيرة خلق الله ولا يتركون أحدا من المسئولين إلا ويتناولونه بألسنتهم خاصة إذا كان هذا المسئول لا يلبى طلباتهم ولا يستجيب لرغباتهم، مثلا كان أحد وزراء المالية لا يستجيب لأى طلب وأقفل بابه بالضبة والمفتاح أمام النواب، وفى إحدى جلسات المجلس جاء إلى مقعده والتف من حوله بعض النواب يريدون توقيعه على طلباتهم دون جدوى، وهنا قال له أحد النواب لماذا لا تكون مثل السيد وزير العدل الذى حسم الأمر

مـع النـواب عن طريق أعطاء كل نائب فرصة عمل واحدة بمقتضاها يعين أحد أبناء دائرته فى الوظيفة الممنوحة من السيد الوزير، وبالتالى لا يطلب منه أحد من النواب شيئا آخر. وهنا قال الوزير أيه الكلام اللـى بيقوله ده هو احنا فى مسـمط ووجدها النائب فرصـة ليثير ضجة حول الوزير، فقال بصوت عال اثناء الجلسة تعالوا يا حضرات النواب شوفوا الوزير بيقولى إيه؟ إيه مسمط ده يا سيادة الوزير؟ بقه ده لفـظ يقوله وزير؟ وآزر النواب زميلهم محتجـين على الكلمة التى قالها الوزير، وتدخل رئيس المجلس معقبا على أن هذه الكلمة ما كان يجب أن تقال وشفى النواب غليلهم من الوزير الذى لا يستجيب لهم. والدردشـات تدور على قدم وسـاق حتى أثناء احتدام المناقشات فى الجلسات، فهذا يحكى آخر نكتة وذاك يتألم مما يلاقيه من عنت وتعب عندما يتقدم بطلباته للمسئولين وآخر يشكو من أبناء دائرته الذين لا يرحمونه ويطلبون منه طلبات هى فى حكم المستحيل، ثم هناك من يمصون «الملبس» فى أفواههم بل إن من المسـئولين من كان يأكل الفسـتق والبون بون وليس ببعيد ذلك الوزير الذى قفشـته الكاميرا وهو يأكل التفاح أثناء الجلسـة والوزير الذى دخل تحت «البنش» لكى يتحدث فى تليفونه المحمول، أذكر مرة أننى كنت جالسـا فى مقعدى فى إحدى الجلسـات وكان على مقربة منى أحد الزملاء وبيده كيس لب وسـودانى ونازل «قزقزة» نظرت إليه مبتسما فإذا به يمد يده وكأنه يقول لى اتفضل قزقز معايا، فلما قلت له أسف وشكرته سحب يده وأخذ يوالى القزقزة – ثم بعد لحظات نظر الى وقال أنت فاهم حاجة من اللى بيتقال فى المناقشات دى هو اللى قالوه امبارح مش زى اللى بيتقال دلوقتى؟ ولما قلت له مداعبا ومحاولا أن أتوافق معه لعله يسكت أبداً أنا مش فاهم حاجة زيك كده! فقال لى على الفور «طب ما تقزقز أحسـن» وضحك بصوت عال وضحكت معه للنكتة والقفشـة وكان هناك من المسئولين من لا يتوانى عن التوقيـع علـى طلبات النواب ولكن كانت أغلب هذه التوقيعات «مضروبة» كما كان يصفها النواب فهى لا تقدم ولا تؤخر وإن كانت تأشيرات فيها ما يفيد بضرورة تنفيذ ما تحويه من مطالب، فقد كانت هناك اتفاقات بين المسئول ومن توجه إليه التأشيرة بحيث لا تنفذ إلا صيغة معينة متفق عليها. أذكر أن أحد رؤساء الهيئات وكانت تربطنى به صلة زمالة وصداقة همس فى أذنى وقال لى إنك إذا أردت أن أنفذ لك تأشـيرة الوزير فقل للوزير عندما يكتب إلى أن يكتب اسمى إلى جوار الوظيفة وبالفعل طلبت من السـيد الوزير وأنا أتقدم له بطلب تعيين أحد أبناء الدائرة أن يكتب اسم رئيس الهيئة الموجهة له التأشيرة ولم يجد الوزير مناصا من تلبية الطلب وكتب اسم رئيس الهيئة ولكنه فهم «الفولة» كما يقولون، وفى المرات التالية كان يصر على أن يكتب التأشـيرة معنونة بالوظيفة وليس باسـم صاحب الوظيفة والحديث فى مثل هذه الأمور لا ينتهى خاصة وأن طلبات النواب لا تنقطع والمسـئولون ليس فى إمكانهم الاسـتجابة لكل هذه الطلبات خاصة طلبات التوظيف.

رفعت المحجوب ..

الدكتور رفعت المحجوب يرحمه الله كان أسـتاذاً فى مادة الاقتصاد والتى كان يدرسـها فى كليات الحقوق والاقتصاد السياسـى، ولكنه كان أسـتاذاً أيضا فى كل فروع القانون، فقد كان الرجل حجة فى

مادتـه وبقيـة المواد أيضا، وكان ضليعا فى اللغة العربية حيث كان يسترسـل فى الكلام بطلاقة تامة، وعندما كان يشعر أنه أخطأ فى كلمة ما نحواً أو صرفا كان يستعيد الجملة ليقول الكلمة صحيحة خالية مـن العـوار، وكنت كثـيرا ما أجلس إليه فى مكتبه نتذكر معا ما كان يـردده من جمل بليغة وهو على المنصة، وعرفت منه أنه يقرض الشـعر وإن كان ذلك القريض يعود إلى أيام الشـباب، وكثيرا ما كنت أسـتحثه لكى يقول لى جانبا من شـعره، فكان يتأبى بعض الشـىء ولكن مع إلحاحى كان يطرق برهة من الزمن وكأنه يسـتحث الذاكرة لكى تسـعفه ببعض الأبيات، وأذكر أنه كان يسمعنى شعرا جيدا فى مختلف الألوان.

وكما قلت فإن الرجل كان حجة فى كل فروع القانون وفى إحدى الجلسـات وكان المجلس يناقش مواد قانون من القوانين وكان وزير مجلسـى الشعب والشورى آنذاك الدكتور أحمد سلامة أستاذ القانون المدنـى وأثناء المناقشـة تعرض النقاش إلى إحدى المواد فى القانـون المطروح، وقال الدكتور المحجوب: إن هـذه المـادة تشـبه إلى حد كبير إحدى المواد فـى القانون المدنى ثم أردف يقـول لعل الدكتور أحمد سـلامة وهو أسـتاذ المدنى، الضليع يسـعفنا بهذه المادة ويبدو أن الدكتور أحمد سـلامة لم يكن منتبها للموضوع فوقف وهو شـبه حائر يبحث فى ذاكرته عن المادة التى أشـار إليها رئيس المجلس ولكن دون جـدوى، وهنا أنطلق الدكتور المحجوب يذكر المادة ومضمونهـا وكأنه يقرؤها من صلب القانون، وكان الدكتور المحجوب دارسـا للتاريخ أيضا وكم من أحداث تاريخية كان يسـردها وهو جالس على المنصة ليؤكد بها أنه قارئ نهم للتاريخ ومصححا بها لخطأ وقع فيه أحد الأعضاء عندما يتعرض لذكر إحدى الوقائع التاريخية، إضافة إلى ذلك كانت كلماته وخطبه التى يلقيها فى افتتاح الدورات البرلمانية قطعا مـن الأدب الرفيـع وكثيرون كانوا يختلفون معه فى توجهاته، ولكـنَّ هؤلاء الكثيرين لم يكونوا يملكون إلا احترام الرجل ويقدرون له علو كعبه فى إدارة الجلسـات وفى فهمه الكبير والقوى للائحة المجلس ونصـوص القوانـين، وفى هذا السـياق فإن أحد النـواب المعروفين يعلو صوتهم كثيرا مـا كان الدكتور المحجوب يوقفه عند حده، وفى إحدى المرات أراد هذا النائب أن يتجاوز الوقت المحدد له فى تعقيبه علـى أمر من الأمور فأوقفه رئيـس المجلس طالبا منه التوقف لأنه تجاوز الوقت المحدد، ولكن النائب لم يمتثل ودخل فى نقاش معه وهنا قال له المحجوب إذا لم تتوقف عن المجادلة فإن اللائحة تعطينى حق إخراجك من الجلسة فلا تلجئونى إلى ذلك وكان أن توقف النائب وصمت عن الكلام.

وفى مجلس الشـعب هناك من الأعضاء من هو غاوى أن يفتح المكلمة حتى فى الأمور التى ليس له دراية بها المهم أن يتكلم وأن يعقب حتى يظهر على شاشة التليفزيون ويقال عنه إنه يناقش ويحاور وإنه من نجوم المجلس، وأذكر فى إحدى الجلسـات وكان المجلـس يناقش اتفاقية صناعية خاصة بمصنع فحم الكوك وبعد أن عرض رئيس لجنة الصناعة التقرير الخاص بالاتفاقية، وبعد أن قال ذوو الاختصاص كلماتهم تعقيبا على الاتفاقية وأراد الدكتور المحجوب أن يصل الأمر إلى نهايته ولكن أحد النواب الذى

كان يهـوى «فتـح المكلمة» عمال على بطال رفع يده يريـد التعقيب فقال له رئيس المجلس: لماذا تريد أن تتكلـم فـى موضوع الاتفاقية؟ وماذا تريد أن تقول بعد الذى قاله الخبراء وذوى العلم بالموضوع؟ إننى لـن أعطيـك الكلمة، فقال العضو إن من حقى أن أتكلم، فـرد عليه رئيس المجلس قائلاً لو أن الموضوع يخـص جوانب زراعية لكنت أعطيتك الكلمة، ولكن الموضوع علمى بحت ويتعلق بصناعة لا أعتقد أنك محيط بجوانبها ولن أعطيك الكلمة وصفق الأعضاء لرئيس المجلس على حسـمه للموضوع وعدم إضاعته لوقت المجلس .

وجاء الرئيس الجديد للمجلس وأذكر أننا كنا فى جلسة تجمع فيها بعض الأعضاء فى مكتب رئيس المجلس وكان يجلس معنا نائب عرف عنه صوته العالى وأنه كما كان يقول عن نفسه إنه مدفعية الحزب الثقيلة وبعيدة المدى التى توجه ضد المعارضة، كما كان معروفا بالمشاكسة وكان هناك من يتحاشونه حتى من المسئولين – المهم جلسنا نتحدث فإذا برئيس المجلس يقول لهذا العضو إنك مبدع فيما تقول تحت القبة.. تسـاءلت بينى وبين نفسـى: هل الزعيق والضجيج والأخطاء التى بلا حدود فى نطق الكلمات وعدم معرفة نحوها وصرفها، عندما يريد هذا العضو أن يتحدث فى لغة فصيحة هل هذا يعتبر إبداعا، ولقد أصابتنى هذه الكلمات بما يشبه الإحباط وتحسرت على الإبداع مبديا أسفى بينى وبين نفسى على ضياعـه خاصة وأننى كنت أتصدى لموضوع رأيته ملحاً ومهماً وهو موضوع يتعلق باللغة العربية، وكيف أصبحـت غريبة علـى أرضها وبين أهلها وهى حتى الآن تعيش غربة أرجو الله سـبحانه أن يخرجها منها، فقد أزعجتنى تلك الكلمات الأعجمية التى تتناثر على الألسـنة ومازالت – وأزعجتنى ومازالت أسماء الشـركات والمحلات التجارية والبضائع، وكذلك أزعجتنـى تلك الإعلانات التى تملأ الصحف والتى تنتشر على واجهات المبانى تعلن عن سلع وبضائع وكلها مكتوبة بلغة أجنبية، والأسوأ أن الأسماء الأعجمية أصبحت هى الغالبة على كل المحلات التجارية حتى فى أعماق الريف، وأذكر أنه فى مدينة مثل نجع حمادى فى أقصى صعيد مصر فيها مثلاً محل تجارى اسمه «فايف ستارز» وهو يبيع ملابس المحجبات وما أبعد الاسـم التجـارى للمحل عن طبيعة ما يبيعه، ومحل آخر اسمه «فاشـون» وهكذا تصديت للأمر ورجوت رئيس لجنة الثقافة والإعلام أن يعقد اللجنة لمناقشة هذا الأمر والعمل على إصدار تشريع يحقق للغة العربية هيبتها ويفرض كلماتها، بحيث تنمحى هذه الظاهرة الأعجمية فى مكاتباتنا وشوارعنا وصحفنا ودعوت لجلسات الاستماع العديد من المشغولين بهموم اللغة العربية وشئونها، فجاء رئيس مجمع اللغة العربية الراحل شـوقى ضيف وجاء أساتذة اللغة من كليات الجامعة وجاء المسئولون عن الإعلام مسموعا ومرئيا ومقروءا، كما جاء بعض رؤساء الجمعيات الأهلية المهتمة بشأن اللغة العربية وظلت جلسات الاستماع تعقد على مدى أكثر من عشر جلسات وكلفتنى اللجنة باعتبارى مقررا للموضوع وسـأقوم بعرضه على المجلس بكتابة التقرير الخاص به، وشحذت همتى ومكثت ساعات طويلة أكتب التقرير وأنسق أبوابه ومفرداته إلى أن خلصت إلى عدد من التوصيات وأشركت معى بعضا من مستشارى

وزارة التربيــة والتعليــم الذين كان لهم جانب كبير فى مناقشــة الموضوع والذيــن اقتنعوا بوجوب زيادة جرعــة اللغة العربية فى صفوف الإعدادى والثانوى، ووصل عدد التوصيات إلى حوالى عشــرين توصية كلها كانت فى الصميم، والعجيب أنه كان هناك مادة فى قانون الإدارة المحلية تحتم على المحافظين ومسئولى الحكم المحلى من رؤساء المدن والأحياء أن يطبقوا العقوبة على من لا يلتزم بكتابة اسم مؤسسته باللغة العربية بشكل بارز فى حالة كتابته بلغة أخرى.

العجيــب أن العقوبة لم تكن تتجاوز الغرامة ببضعة جنيهات وكان من بين التوصيات تغليظ العقوبة بحيــث تصل إلى غرامــة كبيرة وقد تصل فى حالة عدم الالتزام إلى غلق المؤسســة، إضافة إلى توصيات خاصة بالتزام العاملين فى الإعلام المســموع والمرأى باللغة العربية خاصة وأن البعض منهم فى ســياق حــواره مع ضيوفه كان ولا يزال يســتعمل بعض الألفاظ الأجنبية، كذلــك كان من بين التوصيات عدم إطلاق أسماء أعجمية على برامج إذاعية وتليفزيونية ومنها الكثير المتناثر على الشاشة وعبر الميكروفون، وطبع التقرير ووزع على الأعضاء وجاءنى الكثيرون منهم وهم سعداء بالتقرير وكيف أنهم سيكونون سندا قويا لتنفيذ التوصيات وبقى أن يحدد موعد للمناقشــة، وبالفعل تحدد الموعد وكنا على مشــارف نهاية الدورة البرلمانية وتوقعت أن يكون للموضوع والتقرير صدى طيب فى نفوس المســئولين ولكن جلســة بعد أخــرى وأنا مســتعد لعرض التقرير علــى المجلس كانت الموضوعات والتقاريــر الأخرى تناقش ويؤجل موضوع اللغة العربية إلى جلســة آتية كنت أعتقد أن الموضوع له درجة أهمية تتوازى إن لم تتفوق على موضوعات أخرى ولكن دون جدوى، وإذا بالموضوع وفى الجلســة الأخيرة التى ســيرفع المجلس فيها أعمالــه للــدورة التالية يحيله رئيس المجلــس إلى الجهات المعنية مثل وزارتــى التربية والتعليم ووزارة الثقافــة ووزارة الإعــلام ووزارة التنمية الإدارية والحكم المحلى لتنفيــذ التوصيات دون أن يجد التقرير حظه من المناقشــة وحظه من متابعة الرأى العام له عبر وســائل الإعلام وكأن شــأن اللغة العربية غير جدير بالاهتمام.

زيارة برلمانية ..

وقد كان لى حظ مرافقة بعض الزملاء النواب إلى لندن بدعوة من مجلس العموم البريطانى، كان الوفد برئاســة الأســتاذ المرحوم أحمد حمادى وكيل المجلس – يرحمه الله – ومكثنا هناك خمســة أيام زرنا خلالها مجلس العموم وشاهدنا جلسة من جلساته وكانت سجالا حاميا بين الحكومة التى كان يرأسها جون ميجور والمعارضة والمناقشــة تدور فى مجلس العموم بصورة منظمة منضبطة وإن كانت لا تخلو من زعيــق وهيصة تحدثهــا المعارضة عندما لا يعجبها قول وزير من الوزراء، حضر الجلســة رئيس الوزراء وعقب انتهائها شاهدناه يركب سيارة سوداء مسدلة الستائر وهى سيارة ذات نمط واحد يركبها المسئولون فى الحكومة الإنجليزية، أدهشنى أن جون ميجور ركب السيارة وليس أمامه أو خلفه سيارات حراسة أو موتوســيكلات تفتح له الطريق، وســألت مرافقى وكان واحدا من العاملين فى الســفارة المصرية عن

عدم وجود حراسة حول رئيس الوزراء فقال مبتسما – بل إنه لو صادفته إشارة حمراء عليه أن يتوقف حتى تضئ الإشارة خضراء ولا يستطيع سائقه أن يسير إلا حسب قواعد السير فى شوارع لندن دون أن يتخطى السيارات التى أمامه ! !

وفى مساء أحد أيام الزيارة أقاموا لنا حفل عشاء وكان عشاء لا بذخ فيه فهو عبارة عن طبق الشوربة والطبق الرئيسى والحلو كوب به قطعة جيلانى وجاءت جلستى إلى جوار عضو بمجلس العموم وتجاذبت معه أطراف الحديث وسألته عما يقوم به من عمل تجاه دائرته الانتخابية وهل يحمل حقيبة بها طلبات ورغبات يدور بها على الوزارات المختلفة ليأخذ تأشيرة من السادة الوزراء والمسئولين، فابتسم الرجل وقال ليس الأمر بهذا الشكل ولكن أقوم بزيارة المدارس لحضور حفلاتها التى يقيمها الطلاب، وأشارك فى حضور معارض الزهور التى تقام فى أحياء الدائرة، وأزور بعض المستشفيات لتقديم هدايا رمزية للمرضى. ثم إننى أشارك فى وضع الميزانية العامة وأناقش القوانين التى يراد سنها فى المجلس، وسألنى الرجل بدوره عن المهام التى أقوم بها نحو دائرتى فقلت له مبتسما هى تقريبا نفس المهام التى تقوم بها أنت.

انتخابات سنة ٢٠٠٠ ..

وجاءت انتخابات سنة ٢٠٠٠ وكنت قد عزمت على عدم خوضها بعد الذى أصابنى فى الانتخابات السابقة سنة ١٩٩٥ ولكن الضغط من الأقارب والأنصار كان شديدا حيث قالوا لى: إن من كان ينافسك فى الانتخابات الماضية لن يدخل الانتخابات القادمة وأن جوك مهيأ لكى تكسب باكتساح، ولكن أكثر من عامل من عوامل عدم الوفاء وإنكار الجميل كان من وراء عدم التوفيق فى المعركة، كان هناك مرشح مضمون نجاحه وقالوا لى ضع يدك فى يده ولكنى رفضت تمسكا منى بأن أكون ملتزما حزبيا ولا أترك زميلى الذى رشحه الحزب معى على مقعد الفلاحين، ولكن أولا وقبل كل شىء هى إرادة الله وكأنه سبحانه يقول « كفاية كدة » فعلى الرغم مما كنت ألاقيه من ترحاب وقبول لدى غالبية الدائرة إلا أن المولى قدر وما شاء فعل. مثلا نزل أحد أبناء العائلة على مقعد الفلاحين فتفتت بعض الأصوات ونزل أيضا فرد آخر كان له سابقة المنافسة سنة ١٩٩٥ ولا أريد أن أطيل، وفى ليلة ظهور النتيجة حيث كانت الإعادة بينى وبين غريمى هذا أحصست وكأن هما ثقيلا وعبئا ضخماً انزاح عن كاهلى ولأول مرة أنام ملئ جفونى دون انتظار يوم تطلع فيه الشمس وأرى العشرات من طلاب الحاجات والخدمات يطرقون باب منزلى فى عنف ملحين فى مقابلتى، وأذكر أن الصديق محمد عمر محرر أخبار اليوم فى مجلس الشعب اتصل بى يستفسر عن حالى فقلت له : إننى فى أحسن حال وانننى تناولت طعام الإفطار بنفس مفتوحة، وأقول أخيرا: إننى بالرغم من عدم توفيقى فى الانتخابات إلا إننى أجد نفسى ملبيا لكل ما يطلب منى مساهمة فى قضاء حوائج الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وقد جاءتنى وفود عديدة قبل انتخابات سنة ٢٠٠٥ تطلب منى دخول الانتخابات ولكنى كنت قد اتخذت القرار بعدم الدخول

مـرة أخـرى مهما كانت الضغوط لدرجة أننى نزعت فيشـة تليفونى منزلى فى القاهرة حتى لا يأتى أى اتصال تليفونى يناقش قرارى بعدم دخول الانتخابات، لقد كانت فترة استمرت ثلاثة عشر عاما مارست فيها العمل السياسى وأشكر المولى عز وجل أن هيأ لى فرصة خدمة الدائرة التى شرفت بتمثيلها بما أرضى ضميرى.. كانت فترة بلوتها بحلوها ومرها والحمد لله على كل شىء.

أمناء الإذاعة والتيلفزيون ..

لم تنقطـع صلتى بالإذاعة عقب الخروج إلى المعـاش إذ كنت ولا زلت أقدم بعض الخواطر الرياضية فى شـبكة الشـباب والرياضة إضافة إلى أننى كنت عضوا بمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون وجاء تعيينـى فـى هذا الموقع عقب انتهاء عملـى الرسمى كرئيس للإذاعة. وعندما صـدر قرار رئيس الوزراء بتشكيل مجلس الأمناء فى نوفمبر من عام ١٩٨٨ وحمدت الله على مَنه وكرمه كما شكرت وزير الإعلام على ثقته فى شخصى واختيارى عضوا بالمجلس ولا أدرى لماذا طاف فى ذهنى أننى لم آت فى مجلس الامنـاء إلا لأننى عضو بمجلس الشـعب وقد صدق هذا الخاطر لأننـى عقب عدم التوفيق فى انتخابات سنة ٢٠٠٠ وبعد دورة واحدة فى مجلس الأمناء تشكل المجلس الجديد خاليا من اسمى وعلى أية حال فهذه حكاية أخرى سنسردها فى ختام هذه الذكريات.

ومجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون أنشئ أول ما أنشئ عندما جاء الاستاذ محمد حسنين هيكل وزيرا للإعلام سـنة ١٩٧٠ وأراد الرجل أن يجعل الإعلام المسموع والمرئى كيانا مسـتقلا يدير شـئونه ويخطـط لبرامجـه مجلس يضم ثقاة الثقافة والعلم والفن ممن لهـم باع كبير فى تلك المجالات، واعتزم الرجل – أى الاستاذ هيكل – أن يكون المجلس هو الأمين على إعلام مصر يخطط وينفذ دون أن يكون هنـاك رقيـب عليه اللهم إلا ضمائر أعضائه ورغبتهـم الصادقة فى علو كعب الإعلام المصرى، حتى إن قانونه الأول كان يقضى أن يكون رئيس المجلس بدرجة نائب رئيس وزراء حتى لا يكون لوزير الإعلام سيطرة على المجلس، وجاء بالدكتور مصطفى خليل نائب رئيس الوزراء السابق – قبل أن يصبح رئيسا للوزراء – لكى يرأس المجلس وبالطبع كان فى الخطة أن يسـتقل الاتحاد بشـئون نفسـه وأن تكون له ميزانيته الخاصة وكادر موظفيه الخاص .

وبعـد شـهور قليلة من تكوين المجلـس الجديد رحل عبد الناصر وبعد رحيله بقليل جاء التشـكيل الوزارى خاليا من اسـم الاسـتاذ هيكل الذى أعلن بصراحة وبوضوح أنه ما جاء وزيرا للإعلام إلا تحت الحاح عبد الناصر حتى إنه وهو وزير للإعلام احتفظ برياسته لمجلس إدارة ورياسة تحرير الأهرام.

وعندما جاء وزير الإعلام الجديد يبدو أنه وجد نفسـه بعيدا بعض الشـىء عن أن يكون فاعلا بقوة فى أمور الإعلام مسموعا ومرئيا، ولا أستطيع أن أدعى علما بما دار وراء الكواليس إلا إن الأمور عادت إلى ما كانت عليه وأصبح مجلس الأمناء ولا يزال.. مجرد رمز، فالمجلس بعد أن تعدل قانونه أكثر من مرة لصالح وزير الإعلام أصبح دوره تقريبا أقرب إلى الدور الاستشارى منه إلى الدور الفاعل اللهم إلا فى

بعض الأمور التى لا تسمن ولا تغنى من جوع مثل قبول هدية برامج من إذاعات أخرى أو تعديل لائحة أجور وغير ذلك من الأشياء التى لا تدخل فى صلب العمل التنفيذى لما يجب أن يكون عليه الإعلام المصرى ذلك أن الحل والربط فى يد وزير الإعلام ومن بعده رئيس الاتحاد ثم رؤساء القطاعات الذين كثيرا ما يتخذون قرارات تتسم بالفردية حيث كل له وجهة نظره ورأيه الخاص فى تسيير أمور القطاع الذى يرأسه.

كانت لجنة الشباب والرياضة المنبثقة عن مجلس الأمناء والتى شرفت برياستها حوالى اثنتى عشرة سنة تضم العديد من أساطين الرياضة ممن مارسوها لعبا وإدارة كذلك كانت تضم الشخصيات المهتمة بالنشاط الشبابى غير الرياضى كان هناك الأستاذ عبد العزيز الشافعى بطل السباحة ورئيس جهاز الرياضة بوزارة الشباب وكان هناك الدكتور إسماعيل حامد الذى تولى نفس المنصب ويرأس اتحاد الملاكمة ويشغل منصب نائب رئيس الاتحاد الدولى للملاكمة كذلك كان الدكتور حسن مصطفى رئيس الاتحادين المصرى والدولى لكرة اليد والدكتور مسعد عويس رئيس جهاز الشباب وحسنى غندر سكرتير اتحاد الشركات إضافة إلى مجموعة من الزملاء النقاد الرياضيين والعاملين فى برامج الشباب والرياضة بالجهازين المسموع والمرئى. وكم من قضايا عديدة ناقشتها اللجنة تتعلق بالشأن الرياضى والشبابى وما يجب أن يقوم به الجهازان المسموع والمرئى من جهد فى صنع برامج تتسم بالحرفية وحسن الإخراج وجمال التقديم، وفى هذا الإطار قامت اللجنة بعمل أكثر من دورة تدريبية لمقدمى البرامج وللمعلقين الرياضيين فى مختلف فروع الرياضة وجاءت بثقات الأساتذة من كلية الإعلام وكليات التربية الرياضية وعلماء النفس ليقدموا محاضراتهم حتى إنها أتت بأستاذ فى مادة الجغرافيا ليعطى معلومات جغرافية عن القارة الإفريقية والبلدان العربية حيث الارتباط قوى مع القارة والمنطقة العربية خاصة فى المجال الرياضى وليتعرف المذيع والمعلق إلى معلومات سكانية ومناخية لهذه البلدان تساعده فى تقديم تعليقاته على النحو المرجو، وكم من بحوث فيما يجب أن يكون عليه العمل الرياضى والشبابى فى جهازى الإعلام قدمتها اللجنة فى صورة تقارير رفعت إلى مجلس الأمناء التى ناقشها وأقرها ولكن هل نفذت توصيات اللجنة التى تضمنتها هذه التقارير؟ للأسف فالإجابة سلبية ولى فى هذا السياق موضوعان أحب أن أتناولهما فى هذه الذكريات الأول خاص بما تصدت له اللجنة من بحوث حول ما يجب أن تكون عليه القناة الرياضية المصرية عندما بدأ التفكير فى إنشائها فى سنة ١٩٩٧ والثانى خاص بما أقدمت عليه مصر من رغبتها فى تنظيم كأس العالم لكرة القدم سنة ٢٠١٠ .

الأمر الأول الخاص بما يجب أن تكون عليه القناة الرياضية المصرية جاء بتكليف من مجلس الأمناء للجنة وكيف أن المجلس يستحث لجنة الشباب والرياضة على تقديم تقرير يتضمن رؤية اللجنة حول حدث رياضى كبير يتمثل فى إطلاق قناة فضائية مصرية تتناول الشأن الرياضى كما يجب أن يكون التناول، وعلى مدى أكثر من ست جلسات ناقشت اللجنة أمر هذه القناة بعد أن شكلت مجموعات عمل

من أعضائها، كل مجموعة تدرس جانبا من جوانب برامج القناة سواء كان هذا الجانب يتناول فلسفة البث الرياضى الفضائى واختلافه عن البث الأرضى أم كان ذاك الجانب يتناول الجهد الذى يبذل من أجل أن يكون للقناة جمهور يشاهدها فى مختلف أنحاء العالم، وكتب التقرير الذى جاء فى ست عشرة ورقة من حجم الفولسكاب حاويا أموراً عديدة يجب أن تكون عليها القناة منها ما يتعلق بالعاملين فى القناة وكيف أنهم يجب أن يكونوا أصحاب وجوه مشرقة جميلة وأن تكون أجسامهم تعبر عن أنهم يمارسون الرياضة ثم أولا وقبل كل شىء يجب أن تكون حصيلتهم من المعلومات الرياضية محليا وعالميا غاية فى الجودة، ومن الأمور أيضا ما يتعلق بملاحقة الاحداث الرياضية المحلية والعالمية بكل السرعة والجدية والتعامل مع هذه الأحداث بشكل فورى حتى لا تقدم بعد مدة وتكون مثل الطعام «البايت» الذى مر عليه وقت منذ طهيه وأمور أخرى كثيرة لعل من أهمها أن تتعاقد القناة على بث دورى محترم مثل الدورى الانجليزى أو الايطالى أو الألمانى أو الأسبانى أو حتى الفرنسى علاوة على وجوب تعاقدها مع الاتحادات الدولية الرياضية فيما يتعلق بتقديم نشاطها العالمى مثل اتحاد ألعاب القوى أو السباحة أو حتى الكرة الطائرة وكرة اليد لأنه بغير ذلك لن تستطيع القناة أن تنافس القنوات الرياضية التى تملأ السماوات المفتوحة والتى تجد لها جمهورا عريضا يقبل عليها ويدفع مقابلا ماديا نظير مشاهدة برامجها والأحداث العالمية التى تقدمها، وعرض التقرير على المجلس ووجد استحسانا من كل الأعضاء وأعتقدت أن ما جاء به من توصيات سينفذ أو على الأقل بعض منه ولكن للأسف لم يحدث ذلك، ومع احترامى الشديد لكل أبناء القناة الرياضية إلا إن الكثيرين منهم خاصة العنصر النسائى لا يتميز بالوجه الحسن والطلعة البهية ولا يحس الإنسان أنه زاول الرياضة أو مارس شأنها على رغم أن هذا العنصر أغلبه من خريجات كليات التربية الرياضية. أما عن الطلاقة فى الكلام والحديث بأسلوب متميز وأما عن المعلومات التى يجب أن تكون محتشدة فى الأذهان فهى ضئيلة ومحدودة والأسئلة التى تطرح على اللاعبين والاداريين أغلبها سطحى مثل هل عندك أولاد؟ وهل تحب أن يكون أولادك نجوما فى لعبتك كما أنت نجم فيها؟ بل إننى شاهدت واحداً من المسئولين الكبار فى القناة والذى يزاول تقديم البرامج الرياضية منذ أكثر من ربع قرن حيث كانت له تجربة تقديمها فى إحدى شبكات الإذاعة قبل أن يرتحل إلى القناة الرياضية شاهدته يدير ندوة تتعلق بكأس العالم ٢٠٠٦ والتى فازت بها إيطاليا وفى حوار تطرق إلى عدد المرات التى فازت بها إيطاليا بالكأس تعثر فى عدد البطولات التى أحرزتها إيطاليا ومكان إقامتها فى حين أنه من أبجديات التصدى لتقديم برامج رياضية أن يكون المقدم واعيا بأمور حاكمة فى الحركة الرياضية مثل عدد الدورات الأوليمبية وتواريخ وأماكن إقامتها وعدد المرات التى أقيمت فيها بطولة كأس العالم لكرة القدم وعدد وتواريخ وأماكن الدورات الإفريقية والدورات العربية ودورات البحر المتوسط وهى أمور بديهية بالنسبة لمبتدئ فى تقديم البرامج الرياضية فما بالكم بمن أمضى ربع قرن فى تقديم مثل هذه البرامج، وبالطبع لم تتفق القناة على تقديم أى دورى كروى عالمى وأيضا

لم تنجح فى الاتفاق مع الاتحادات الرياضية فى بث أحداثها حصريا فى المنطقة فى حين أن مثل هذه الأمور تكون سببا فى مزيد من الإعلانات تنهمر على القناة الرياضية.

صفر المونديال !!

أما الأمر الثانى المتعلق برغبة مصر فى تنظيم كأس العالم لكرة القدم ٢٠١٠ فقد كان للجنة الشباب والرياضة رأى فيه وإن كان رأيا خالف رأى المسئولين فى وزارة الشباب واتحاد الكرة إلى أقصى درجات الأختلاف. وأمر تنظيم مصر لكأس العالم لكرة القدم عرضه رئيس جهاز الرياضة بوزارة الشباب – وكان عضوا بمجلس الأمناء بحكم وظيفته وأيضا كان عضوا باللجنة – على مجلس الأمناء ليقوم الجهازان المسموع والمرئى بالترويج له فى البرامج الرياضية وتكثيف الرأى العام فى مصر خلف هذا التنظيم ليكون سندا يدعم اللجنة التى تشكلت فى وزارة الشباب عندما تعرض الأمر على الاتحاد الدولى لأخذ موافقته، وعهد مجلس الأمناء للجنة الشباب والرياضة بدراسة الأمر وتقديم تقرير عنه للمجلس فى أقرب وقت ممكن. وعقدت لجنة الشباب والرياضة أكثر من جلسة لبحث الأمر الذى قلبته اللجنة على كل الوجوه وخرجت برأى يقول: إنه ما أيسر أن تقدم برامج تدعم وزارة الشباب فى طلبها لاتحاد الكرة العالمى بتنظيم مصر للبطولة ٢٠١٠، ولكن بداية هل سيوافق الفيفا على طلب مصر؟ وهل لدينا الإمكانات التى يجب أن تتوفر لننظم حدث عالمى باهر مثل كأس العالم لكرة القدم؟ وهل هناك الكوادر التى تتكفل بتنظيم الحدث تنظيما يتناسب مع مكانة مصر تاريخيا وجغرافيا؟ وهل وهل.. أسئلة عديدة طرحتها على مجلس الأمناء، ومن بين ما قلته أثناء الاجتماع متسائلا عما إذا كان فى استطاعتنا أن ننشئ من الاستادات ما يؤهلنا لإقامة البطولة، وقلت أيضا إن فريقا مثل البرازيل يأتى خلفه ليس أقل من خمسة عشر ألف مشجع لمؤازرته، وتساءلت لو خرج هؤلاء المشجعون من استاد القاهرة بعد انتهاء مباراة من مباريات فريقهم فهل سيجدون المواصلات التى تنقلهم إلى الفنادق التى يقيمون فيها، وتساءلت أيضا فيما لو أراد البعض من هؤلاء الآلاف أن يسيروا على أقدامهم فى شوارع القاهرة من الاستاد إلى العباسية مثلا وأراد بعضهم أن يقضى حاجته فهل يجد دورات مياه لا تقل عن دورات خمس نجوم فى الشوارع ليقضى هذه الحاجة؟ واخيرا قلت بصريح العبارة إن اتحاد الكرة العالمى (الفيفا) لم يصدر قراره بأن تقام كأس العالم سنة ٢٠١٠ فى القارة الإفريقية إلا من أجل عيون جنوب إفريقيا حتى يكفر عن ذنبه عندما كانت جنوب إفريقيا مرشحه بقوة لتنظيم كأس العالم سنة ٢٠٠٦ ولم تفز عليها ألمانيا إلا بفارق صوت واحد قيل: إن ألمانيا قدمت رشاوى لصاحب هذا الصوت، وأن الاتحاد الدولى كان يعلم بذلك ولكنه من أجل عيون ألمانيا ومن أجل عيون نجمها اللامع بيكنباور الذى رأس اللجنة المنظمة للبطولة تغاضى عن الأمر وعمل «طناش» وبالتالى فإن جنوب إفريقيا هى التى ستفوز بتنظيم البطولة على رغم أن المغرب دخل بقوة طالبا التنظيم والمغرب يتمتع ببنية أساسية تفوق بنيتنا الأساسية بكثير، وقلت: إنه من الأجدر بنا ألا ندخل فى متاهة ونفق مظلم وأن نكف عن حكاية أن الأجيال التالية ستحاسبنا

على عدم التقدم بطلب التنظيم بعد أن قرر الاتحاد الدولى أن تنظم البطولة فى القارة الإفريقية بواسطة إحدى دولها وأن مصر بتاريخها ومكانتها فى القارة عليها أن تتقدم طالبة التنظيم، وقال رئيس جهاز الرياضة كلاما كثيرا رد به على ما قلته وكيف أن الدول التى ستعطى صوتها للمغرب فى الجولة الأولى ستعطى صوتها لمصر فى الجولة الثانية وبالتالى ستكسب مصر وتفوز بعملية التنظيم، ولم أسكت وقلت إننى أتحدى أن يحدث ذلك.

□□□

الفصل الأخير

طعنة فى الظهر !!..

ووقعت الواقعة وما قلته فى مجلس الأمناء بخصوص كأس العالم تحقق بحذافيره فقد فازت جنوب أفريقيا بالتنظيم بينما حظى ملف مصر بصفر كبير.. ويا للهول مصر بجلالة قدرها وعظمتها وتاريخها وموقعها الجغرافى ووجودها فى مكان متميز بين قارات العالم جميعا ومناخها المعتدل وآثارها الخالدة ونيلها العظيم وشعبها المضياف لم يشفع لها أن تحرز ولو صوتا واحدا يقول بأحقيتها فى التنظيم، وبعيدا عن الملايين التى صرفت فى الدعاية من أجل أن نفوز بالكأس العالمية، وبعيداً عن الرحلات المكوكية لأكثر من عضو من أعضاء اللجنة التى أنيط بها ملف مصر، وعلى رغم ملايين التوقيعات من شباب مصر وأبنائها الموافقين على دعم بلدهم، وبالطبع كان لسذاجة تشكيل وفد مصر للفيفا حيث تضمن شابا مصرياً من أصول أرمينية يجيد أكثر من ست لغات لا يزيد سنه على ستة عشر عاما وللأسف اسمه ليس من الأسماء العربية أو المصرية الدارجة فى حين أن وفد جنوب أفريقيا كان يتضمن شخصية يهتز العالم عند ذكرها وهى شخصية الزعيم مانديلا، ولكل ذلك كان الصفر الكبير الذى ستظل آثاره السلبية تنخر فى عظام الرياضة المصرية عامة والكرة المصرية بشكل خاص.

خسئ المصوتون !!..

كانت الطموحات تملأ قلوب المسئولين عن الملف إذ لو فازت مصر بالتنظيم فبالطبع سيظل الحال على ما هو عليه ويبقى المسئولون عن الملف فى مواقعهم الوزارية والوظيفية فهم الذين «جابوا الديب من ديله» وبالتالى كيف لا يستمرون فى مواقعهم إلى ٢٠١٠ ويظلون قابضين على زمام الأمور حتى الانتهاء من أحداث كأس العالم. وبالطبع كان للصفر الكبير أثره السلبى على معنوياتنا جميعا على رغم أن المسئولين عنه حاولوا جاهدين أن ينحوا باللائمة على أعضاء الفيفا ولم يجدوا كلاما يقولونه إلا قولهم فى لجنة الشباب والرياضة بمجلس الشعب التى اجتمعت لمناقشة الفضيحة وأسبابها، لم يقولوا إلا جملة «خسئ المصوتون».

إنهم لم يقرأوا الملعب كما يجب أن تكون القراءة ولم يحسنوا أسلوب التعامل مع حدث عالمى له دويه فى أنحاء العالم، فمثل هذه الأمور لها حساباتها التى لا يعرفها ألا ذوو الرؤية الصائبة ممن تمرسوا مع الرياضة العالمية وخبروا دروبها ودهاليزها واستعدوا الاستعدادات المثلى عندما تكون لديهم الرغبة فى تنظيم حدث عالمى.

أذكر فى هذه المناسبة أننا شاركنا فى دورة رياضية هى دورة الجانيفو «دورة دول عدم الانحياز» وقد نظمتها أندونيسيا سنة ١٩٦٣ إبان توهج حركة عدم الانحياز، وقد كان مقرراً أن تنظم مصر الدورة الثانية ١٩٦٧، وجاء رئيس هيئة الاستعلامات فى ذلك الحين الأستاذ يحيى أبو بكر وعقد اجتماعا مع النقاد والرياضيين لمعرفة ما يجب عمله فيما لو أقيمت الدورة فى مصر، وجاء علىَّ الدور فى الكلام فقلت إننا كنا فى دورة طوكيو الأوليمبية نشهد تنظيما بالدقيقة والثانية وأن عربة الإعلاميين كانت تتحرك كل نصف ساعة من أمام مقر الصحفيين لتتجه إلى هذا الملعب أو ذاك فى توقيت دقيق وأنهم كانوا كل يوم يجمعون ما نريد تنظيفه من ملابسنا وكان الغسيل يأتى بعد ٢٤ ساعة ملفوفا فى ورق سوليفان ولم يفقد منه حتى ولو فردة شراب، وقلت إنه إذا تمكنا أن ننظم لرجال الإعلام نصف ما لاقوه فى طوكيو فأهلا بدورة الجانيفو. نظر إلىَّ الأستاذ يحيى أبو بكر مليا ثم طبق أوراقه وشكرنا ولم يجمعنا مرة ثانية، وكان القدر رحيما بنا لأن الدورة ألغيت لظروف عديدة ولم يقدر لها أن تقام مرة أخرى.

وبالإضافة إلى رياستى للجنة الشباب والرياضة فى مجلس الأمناء أضيف إلى عبء آخر تمثل فى رياستى بالإنابة للجنة الثقافية التى كان يرأسها أستاذنا وشيخنا الإعلامى الكبير على خليل – يرحمه الله – وكنت عضوا باللجنة. فقد أصر – يرحمه الله – على أن أكون معه فى اللجنة حتى أكون عونا له فى إدارة شئونها واجتماعاتها وتقاريرها، وكان الوهن قد أصاب شيخنا فكان قليل الحضور إلى اجتماعات المجلس وبالتالى اجتماعات اللجنة ورأى أن يعهد إلى برئاسة الاجتماعات ولم أتوانَ فى أن أكون عند حسن ظن أستاذنا على خليل، وكانت اللجنة تضم العديد من رجال الفكر والثقافة والأدب. الأستاذ فاروق شوشة مثلا والأستاذ محمد أبو سنة والأستاذ محمد التهامى وإسماعيل النقيب وغيرهم ممن يفخر الإنسان أن يكون زميلا لهم فما بالكم لو حتمت الظروف أن أرأس اجتماعاتهم، وقد كانوا جميعا فى عونى وهم يقدمون فكرهم من أجل تقديم برامج ثقافية متميزة فى جهازى الإعلام المسموع والمرئى، وكم من تقارير حول هذا الأمر تقدمت بها اللجنة لمجلس الأمناء ولم يكن يمر اجتماع من اجتماعات المجلس إلا ويناقش المجلس تقريرا إما للجنة الشباب والرياضة وإما للجنة الثقافية، ولقد كانت سعادتى كبيرة وأنا أحاول جهدى أن أقدم مع زملائى فى اللجنتين عصارة سنوات عديدة عاركت فيها الإعلام المسموع وإذا كنت قد وفقت أو لم أوفق فلى على الاقل أجر المجتهد.

وجاءت اللحظة التى أحسست فيها أننى طعنت من الخلف وأن نصلا حادا غرس فى ظهرى ففى أبريل سنة ٢٠٠٤ ونحن نترقب صدور قرار رئيس مجلس الوزراء بتشكيل مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون كانت مفاجأة وأشهد أنها كانت قاسية، إذ وجدتنى خارج التشكيل، وأزعم أن المفاجأة كان لها وقعها أيضا على البعض من أعضاء المجلس الجديد الذين زاملونى على مدى سنوات عديدة فى المجالس السابقة حتى إنهم – كما قيل لى – أخذوا يتساءلون لماذا خرج فهمى عمر من تشكيل المجلس وهو الذى كان شعلة نشاط وحركة؟ وبعد أيام جاءتنى إجابة عبثية فقد أرادوا أن يتضمن التشكيل اسم

الأستاذ الكبير والشاعر والإذاعى القدير فاروق شوشة فقال المسئول الذى بيده الحل والعقد: إن التشكيل الجديد سيتضمن عددا من رؤساء الإذاعة السابقين يزيد على المعقول فهناك صفية المهندس وهناك حمدى الكنيسى وهناك أيضا أمين بسيونى، ثم - كما بلغنى - تساءل المسئول قائلا من هو أقدم هؤلاء فى مجلس الأمناء فقيل له فهمى عمر لأنه عُيّن منذ سنة ١٩٨٨ عضوا بالمجلس، فقال لا فض فوه: إذن يخرج فهمى عمر وكفاية عليه كده.

حقيقة حزنت وعشت لحظات تملكتنى خلالها نوازع الأسى والغضب فخروجى بهذا الشكل أحسست معه كأننى «عملت عملة» وما الضرر أن يأتى الإذاعى الكبير والشاعر القدير فاروق شوشة ليكون إضافة للمجلس وأنا عضو فيه وأزعم أن خروجى كان مخططا له خاصة وأننى كنت كثيرا ما أثير أمورا فى مناحى الإعلام لا يرضى عنها البعض وكنت أنتقد تفضيلهم لأبناء التليفزيون على أبناء الإذاعة وكنت أنتقد ما أصبح عليه حال استديوهات الإذاعة وطرقاتها من سوء وكيف أن المسئولين يعاملون الإذاعة معاملة الزوجة الأولى التى جاءت الزوجة الثانية فأصبحت هى الشغل الشاغل للزوج، وما علينا فقد حدث ما حدث ولكن عزائى أننى خرجت مع اثنين من العمالقة كان من الأجدر أن يظلا عضوين بالمجلس مدى الحياة لما لكل منهما من مكانة سامية. أولهما أستاذ الإذاعيين وشيخهم والوحيد من جيل بناة الإذاعة العظام ممن وضعوا اللبنات الأولى فى صرح الإذاعة وأقصد به الأستاذ على خليل يرحمه الله والذى كان من الأجدر أن يظل عضوا بمجلس الأمناء تتباهى به المجالس المتعاقبة لمجلس الأمناء باعتباره رمزا إذاعيا يحمل فى ثناياه خبرة سبعين عاما من الفكر الإذاعى وأنه العلم الباقى من الإعلام التى رفرفت على مبنى الإذاعة المصرية.

ومما يثير الأسى والألم والحزن أن الرجل فارق الحياة بعد عملية الخروج من مجلس الأمناء بأشهر قليلة، ترى هل كان لخروجه هذا أثر فى رحيله السريع، الأعمار بيد الله ورحم الله شيخنا وأستاذنا على خليل.

وثانيهما علم من أعلام الأدب والثقافة والشعر هو الدكتور أحمد هيكل. صحيح كان الرجل واهنا. ولكنه كان يحرص على حضور الجلسات ويقول رأيه أثناء المناقشات، ثم إن شخصية مثل أحمد هيكل جدير بها أن تزين مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون وأن يفتخر مجلس الأمناء بأن من بين أعضائه واجد مثل الدكتور أحمد هيكل، العجيب أنه بعد شهر واحد من الخروج الذى لم يكن له مبرر للدكتور هيكل تأتى المفاجأة متمثلة فى فوز الرجل بجائزة مبارك فى مجال الأدب والثقافة وهى أكبر جائزة تمنحها الدولة لمن يتوهج فى تخصصه. ألم يكن شيئا جميلا أن يكون من بين أعضاء مجلس الأمناء من يحمل جائزة مبارك؟ ولكنها «قلة الطهى» كما يقولون فى مثل هذه الحالات وعدم التبصر وقلة البصيرة وأعود إلى نفسى فأقول للمرة الثانية والثالثة أننى حزنت لخروجى من مجلس الأمناء خاصة وأن عضويتى به كانت تربطنى إلى جوانب روابط أخرى - بالمبنى الذى أفنيت فيه سنين عمرى وأصبح

بينى وبينه أواصر من العشـق لكل منحى من مناحيه فهنا كانت الحجرة التى شـغلتها وأنا مجرد مقدم برامج وهذا هو الطابق الذى شـهدت إحدى حجراته رياسـتى لإذاعة الشعب، وهذا هو الاستديو الذى كنت أسـجل فيه برامجـى وأقوم بعمل مونتاجها تهيئة لبثها عبر الأثـير، ثم هناك زملائى وزميلاتى وتلاميذى الذين كنت أسعد بهم عندما أدخل المبنى يوم اجتماع المجلس أو فى الأيام التى تجتمع فيها لجنتا الشـباب والرياضة والثقافة ؛ حقيقة أنا مازلت أقدم برنامجا هنا وآخر هناك فى شـبكة الشـباب والرياضة وإذاعة القاهرة الكبرى ولكن مع ذلك أحسست بأن قرار إخراجى من مجلس الأمناء جاء وكأنه يقطع حبال الوصل بينى وبين مكان عشت فيه عمرى وأحببته مثل منزلى بل واعتبره موطنا من مواطنى، ولجأت إلى المولى عز وجل وقلت «اللهم إنى مظلوم فانتصر» واسـتجاب الله سـبحانه وتعالى لدعائى إذ لم تمـض إلا أسـابيع قليلة جـدا وإذا بالأماكن تتبدل والمواقف تتغير وتصبـح المقاليد فى أيدى آخرين وسبحانه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وكما صدر القرار باخراجى من مجالس الأمناء صدر القرار باخراج الآخرين بعيدا عن ماسبيرو وأضوائه وأنواره الساطعة.

وكثيرا ما تسـاءلت بينى وبين نفسـى هل لو كنت مازلت عضوا بمجلس الشعب هل كان من المقدور ألا يأتى اسمى فى تشـكيل مجلس الأمناء؟ أظن أنه كان سـيصعب اتخاذ مثل هذا القرار ظنا وخوفا من أن أقول كلاما فى مجلس الشـعب أو أسـأل أسـئلة محرجة ويعلم الله أن هذه ليسـت أخلاقى ولا هى طبيعتى وحسبى الله ونعم الوكيل وعلى أية حال فإن مجلس الأمناء الذى جاء خلوا من اسمى لم يجتمع طوال مدته وهى سـنتان إلا مرات لا تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة، ثم جاء أخيرا مجلس جديد صدر به القرار فى مايو سـنة ٢٠٠٦ والعجيب أن المجلس جاء وليس به أى شـخصية من شـخصيات الإعلام المسـموع أو المرئى من أمثالنا نحن الذين قدمنا الكثير من الجهد على مدى سـنوات طويلة فى خدمة هذا الصرح الكبير الذى يشرف على شاطئ النيل فى ماسبيرو ولعلها سياسة جديدة أو رؤى جاء بها المسئولون رافعين ألوية التجديد والحداثة باعتبار أن الكوادر القديمة ما هى إلا «دقة قديمة» وأقطع جازما أننى أريد كل الخير للمبنى الشامخ وما يحتويه به من بشر راجيا لهم التقدم والازدهار.

جائزة الشيخ صالح كامل ..

ولزاما علىّ فى هذا السياق الخاص بمجلس أمناء الإذاعة والتليفزيون وكيف ابتعدت عنه أو أُبعدت عنه أقول: إن المولى عز وجل أفاء علىّ من فضله إذ لم يمض عام أو أقل على عدم ورود اسمى فى تشكيل المجلـس وإذا بابننا العزيز أشـرف محمود الكاتب الصحفى والناقـد والمعلق الرياضى يتصل بى وكنت فى مصيفى بالإسـكندرية ليقول لى: إنه علىّ أن أحضر إلى القاهرة إذ وقع اختيار الشـيخ صالح كامل صاحـب قنوات راديـو وتليفزيون العرب لأكون عضوا فى مجلس أمناء الجائزة التى خصصها للمبدعين فى الإعلام الرياضى مقروءا ومسـموعا ومرئيا ومقدارها مائة ألف دولار وأن اجتماع المجلس سـيعقد فى الغـد فى أحد فنادق القاهرة وأن الاجتماعات ستسـتمر على مدى يومين وقد تم الحجز لى بالفندق وأن

هناك سيارة ستكون فى انتظارى فى محطة العاصمة وكل ما فى الأمر أن أتصل بابننا أشرف لأخبره بموعد وصول القطار الذى سأستقله من الإسكندرية وحضرت إلى القاهرة وأقيمت اجتماعات الجائزة وتحددت مفرداتها وخصصت لكل مفردة منها جائزتها المالية مثل جائز أحسن خبر صحفى رياضى وأحسن صورة رياضية وأحسن مقال وأحسن برنامج إذاعى رياضى وأحسن برنامج تليفزيونى وهكذا ورأس الاجتماع صاحب الجائزة الشيخ صالح كامل وعين الزميل عصام عبد المنعم رئيسا لمجلس الأمناء فى دورته ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ على أن يعين فهمى عمر رئيسا لمجلس أمناء الجائزة ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧ نسيت أن أقول: إنه بمجرد خلو مجلس أمناء الإذاعة والتيلفزيون من اسمى توقفت بعض الامتيازات التى كانت ممنوحة للأعضاء منها مشاهدة بعض القنوات الفضائية بالمجان وأذكر أننى ذهبت إلى شركة CNE وهى شركة مصرية تتبع اتحاد الإذاعة والتليفزيون وتبث قنوات فضائية بمقابل مادى وهى الشركة التى كلفها اتحاد الإذاعة والتليفزيون بمنح أعضاء المجلس ميزة مشاهدة القنوات الفضائية مجانا مجاملة للأعضاء وأذكر أننى دفعت حوالى ألف جنيه نظير حزمة من القنوات منها قناة تبث مباريات كأس العالم وبعد دفعى لهذا المبلغ بحوالى أسبوعين جاءتنى دعوة الشيخ صالح سالفة الذكر وإذا بالرجل فى صلب الاجتماع يقرر منح أعضاء مجلس أمناء جائزته ميزة مشاهدة قنوات الـ ART وكانت المفاجأة أن اتصلوا بى من شركة CNE وأرسلوا لى المبلغ الذى دفعته وهكذا لا أجد من الكلمات ما أتوجه به شكرا للمولى عز وجل على آلائه ونعمائه أقول هذا واكتبه إعمالا للآية الكريمة ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الضحى – الآية: ١١].

□□□

الفهرس

الإهداء ٣
مقدمة بقلم الإذاعى الكبير فاروق شوشة ٥
توطئة ٩
الفصل الأول : كنت أنتظر أن أكون البيه النيابة ١١
الفصل الثانى : إشراقة ثورة يوليو ٢١
الفصل الثالث : الإذاعة.. مخزن فوق السطوح ٣٠
الفصل الرابع : أيها الستارة، الآن ترتفع السادة عن أم كلثوم ٤٠
الفصل الخامس : مذبحة الإذاعة والتليفزيون ٥١
الفصل السادس : الرئيس السادات ٥٨
الفصل السابع : نادى الزمالك ٦٦
الفصل الثامن : ديليسبس ٨٠
الفصل التاسع : أبو شوشة، وأبو المجد ٨٧
الفصل العاشر : الزعيق فى حرب ٦٧ والصوت الهادىء فى ٧٣ ..... ٩٣
الفصل الحادى عشر : الطفلة المعجزة.. ممثلة وسفيرة ١٠٠
الفصل الثانى عشر : الحديدى ١٠٧
الفصل الثالث عشر : دورة المكسيك وكأس العالم للسلة والقدم ١١٥
الفصل الرابع عشر : يوم فلسطين فى الأوليمبياد ١٢٠
الفصل الخامس عشر : الإعلام المحلى ١٣٣
الفصل السادس عشر : رئيساً للإذاعة ١٤٤
الفصل السابع عشر : ما بين السودان ولوس انجلوس ١٥٥
الفصل الثامن عشر : أكون أو لا أكون ١٥٩
الفصل التاسع عشر : المصداقية فى العمل وفى الخبر ١٦٥
الفصل العشرون : المعاش.. وبعد المعاش !! ١٧٠
الفصل الحادى والعشرون: كوم خراب أصبح كوم عمار ١٧٨
الفصل الأخير : طعنة فى الظهر ١٩٦

ملزمة صور

أخذت بالإسكندرية عند إذاعة الاحتفال بافتتاح
مبرة الأميرة فريال بباكوس بالرمل يوم ٢١/ ٢/ ١٩٥٢

مع المذيعين جلال معوض - صلاح زكى - أحمد فراج.

بمناسبة مهرجان التحرير أخذت فى القهوة البلدى بالمعرض يوم الاثنين ٢٦/ ١/ ١٩٥٣.

فى افتتاح هيئة التحرير بأسوان يوم ١٥/ ٤/ ١٩٥٢.

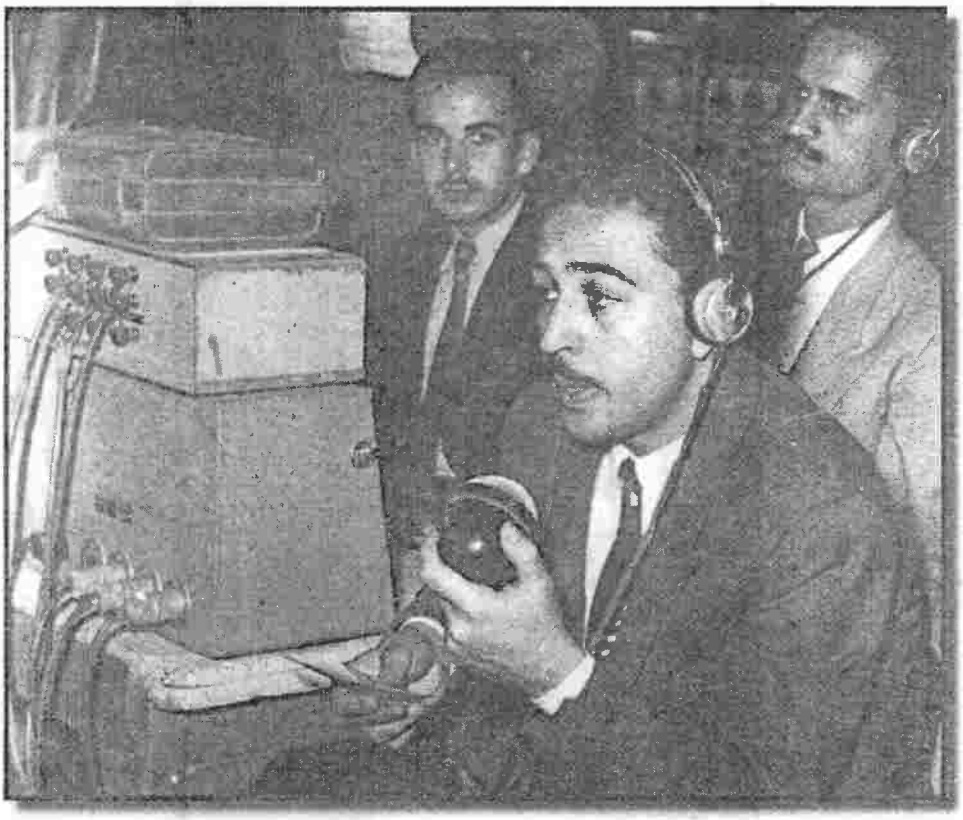

فى مقصورة الإذاعة بمسرح حديقة الأزبكية مارس ١٩٥٤.
حفل كوكب الشرق أم كلثوم.

فهمى عمر وكابتن لطيف فى مباراة مصر وروسيا فى
ملعب النادى الأهلى يوم ٤/ ١٢/ ١٩٥٥.

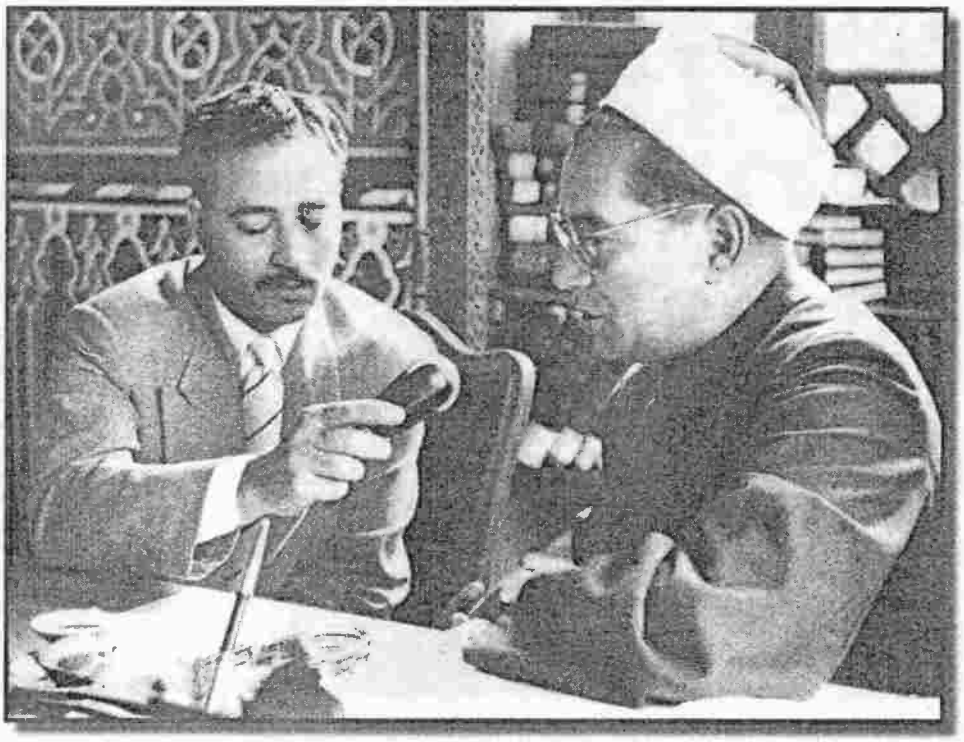

لقاء مع الشيخ الباقورى.

من قصر رأس التين إذاعة القرآن الكريم فى رمضان ١٩٥١.

مع ثلاثة رؤساء وزارة وهم عبد القادر حاتم - ممدوح سالم - عزيز صدقى.
عندما سجلت لهم أحاديث فى مجلة الهواء

مع الفنانة فاتن حمامة بمناسبة مسلسل ليلة القبض على فاطمة فى الإذاعة فى رمضان ١٩٨٣

عبد الحليم حافظ يحتفى بنجوم الاتحاد السكندرى
فى منزله بمناسبة فوزهم بكأس مصر سنة ١٩٧٦

حرم السيد الرئيس فى احتفالات عيد الطفولة بالإذاعة عام ١٩٨٤.

رئيس الإذاعة يستقبل السيد صفوت الشريف وزير الإعلام فى حفل من حفلات الإذاعة.

استقبال السيد الرئيس حسنى مبارك لوزير الإعلام ورئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون بمناسبة تعيين السيدة سامية صادق رئيسا للتليفزيون وفهمى عمر رئيسا للإذاعة ديسمبر ١٩٨٢

في مجلس الشعب أثناء إلقاء أحد البيانات البرلمانية.

مع محافظ قنا الأسبق فى حفل صلح بعض العائلات بدعوة من فهمى عمر عضو مجلس الشعب.

صورة تعبر عن الوحدة الوطنية فى جولة من جولاتى الانتخابية.

لقاء مع جماهير «دائرة الرئيسية» التى أمثلها فى مجلس الشعب.